http://www.al-maktabeh.com

القرآن والعلم الحديث

بقلم
عبد الرزاق نوفل

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظه

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
٢
بيروت - لبنان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا».

(سورة الإسراء ٨٨)

عندما أصدرت كتابي الأول «الله والعلم الحديث» وقد تضمن فصلا عن الإعجاز العلمي للقرآن لقيت هذه المحاولة للربط بين آيات القرآن الكريم العلمية وبين حقائق العلم الحديث ترحيبا من القراء واهتماما من العلماء، ففي عصر الفضاء حيث يقترب الإنسان من أبواب الكواكب الأخرى، وحيث أطلق من الذرة قوة تفوق ما كان يتخيله في أحلامه، وحيث تمكن من تقسيم الذرة وقد كان يعتقدها وحدة تناهت في الصغر بحيث لا تنقسم... في هذا العصر وقد بدأ يتزعزع إيمان الناس بما

شاهدوه ... وبما تناقله بعض رواد الفضاء من أنهم لم يلمسوا في السماء شيئًا يؤكد وجود الله – ولم نعرف حتى ما ظنهم وكيفُ كان تفكيرهم وما كانوا يتخيلون وجوده – في هذا الوقت نجد أن آيات القرآن الكريم قد أوردت كل الحقائق العلمية التي وصل إليها الإنسان بعد اجتهاد دام عشرات السنين، وللقرآن الكريم فضل السبق على العلم ، ونشر هذه الحقائق وإثبات معجزة القرآن الكريم العلمية له أثره في محاربة الالحاد وتثبيت عقيدة الإيمان في النفوس ونشر الدعوة الإسلامية .

ولقد وفقني الله سبحانه وتعالى وأصدرت كتاب (القرآن والعلم الحديث) ، ليؤكد معجزة القرآن الكريم العلمية ، وقد أسعدني أن ينجح الكتاب حتى نفدت طبعاته منذ مدة وتكرر الطلب على الكتاب وكان لابد من تلبية رغبات القراء داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها بإعادة طبعه كما تم ترجمته الى عديد من اللغات الغربية والشرقية .

وهذه طبعة جديدة من كتاب (القرآن والعلم الحديث) أضعها بين أيدي القراء سائلا الله سبحانه وتعالى أن يحقق الهدف من طبعها ، وأن تكون من سبل نشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالإسلام .

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المسْلِمِينَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولنَا يُبَيِّنُ لَكمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

إعجاز القرآن

القرآن معجزة خالدة

أيد الله كل رسول من رسله بمعجزة لتكون بينة لقومه على أنه رسول الله إليهم ، وكانت المعجزات دائمًا من نفس ما اشتهر به القوم ، حتى يمكنهم بذلك إدراك ما بها من إعجاز يفوق ما عرفوه . فلما كان السحر في زمن سيدنا موسى هو ما برع فيه قومه ، كانت معجزته من قبيل السحر ... فكان للسحرة حبال إذا ألقوها على الأرض تخيلها القوم كأنها حيات تسعى ... فإذا ألقى موسى عصاه على الأرض لم تتحرك فقط بل بلعت حبالهم وعصيهم ، فصدقوا به ، واتبعوه . وفي زمان سيدنا عيسى اشتهر القوم بالطب والبراعة في العلاج ... فهل توصل أحد منهم إلى رد البصر للأعمى أو شفاء الأبرص والأكمه ... ؟ . إنه سيدنا عيسى ... الذي تمكن بإذن الله من ذلك ومن إحياء الموتى ...

وأرسل الله سيدنا محمدًا ﷺ بين العرب الذين كانوا أرباب القلم وعمالقة اللغة ... أسواقهم .. وأعيادهم ... ومساجلاتهم . الشعر والنثر .. والخطابة والكتابة .. فلما استمعوا إلى القرآن وهو مكون من حروف لغتهم ، ومن ألفاظهم ، وجدوه فوق ما عهدوا واستمعوا منه أكثر مما توقعوا ... فآمنوا .

ويمتاز القرآن عن غيره من المعجزات بأنه معجزة أبدية ، فهو بين أيدينا كما كان في عهد أجدادنا ، وسيظل أمام أحفادنا ... يطاول الخلود .. ولن يكون أسطورة في يوم ما .. ولن يصبح موضع الشك .. ولن يأتي اليوم الذي يقال فيه : وأين الدليل على أن محمداً قد بعث ؟ ..

وهكذا انتهت معجزة الأنبياء بانتهاء حياتهم فيما عدا الرسول محمداً الذي ظلت وستظل معجزته خالدة .. وحتى لا يقال إن آيات القرآن إنما نزلت في أمر حدث ، أو جواباً لمستخبر يسأل .. وقد انتهى أمره ، فشاءت إرادة الله أن يوحي إلى الرسول بموضع الآية من السورة والسورة من القرآن وأن يجمع على غير ترتيب نزوله ليظل معجزة إلى أبد الآبدين ، وفي ذلك يقول المرحوم الأستاذ الشيخ محمد المدني في كتابه « المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء » : « لو أنه جمع على حسب ترتيب نزوله لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها ، أو أنه حلول وقتية للمشكلات التي كانت على عهد الرسول فحسب . والله تعالى يريد كتابه عاماً خالداً ، لا يختص بعصر دون عصر ، ولا بقوم دون قوم . لذلك قضت الحكمة بأن يرتب ترتيباً يحقق هذا العموم وهذا الخلود ، ويبتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به لحكمة كانت مناسبة حين نزوله » .

إعجاز القرآن البلاغي

اهتم المسلمون بوجه من أوجه إعجاز القرآن ، وهو بلاغته ، حيث نزل بلغة العرب في وقت كانوا فيه أصحاب الكلم وأرباب القلم فوجدوا فيه ما لا يستطيعون مجاراته ... واجتمعوا فعجزوا على أن يأتوا بمثله ، أو بمثل سورة منه ، أو آية .. حتى أصغرها .. بل إن تغيير وضع اللفظ

http://al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لا يقيم للآية معناها .. وصداها ... وقد اتفق البحاث من أصحاب اللغة من العرب والمستشرقين في كافة الدول على أن القرآن في درجة من البلاغة لم يعهد مثلها في تراكيب اللغة وتقصر عنها درجات البلاغة ، وأنه تعبير بلفظ عجيب لمعنى مناسب للمقام الذي يرد فيه اللفظ دون زيادة أو نقصان ...

والفصاحة أكثر ما كانت في وصف المشاهد المألوفة ... كوصف حفل .. أو حرب ... أو حديقة ... أو حيوان ؛ أما غير هذه المشاهد فلم يكن للفصاحة فيها ميدان ، والقرآن وصف المشاهد غير المألوفة ، الغيبية ، كحال الناس في الحساب ، والعقاب والثواب ، بفصاحة لم تكن معهودة.

والقرآن تنزه عن الكذب في جميع ما فيه ، والتزم الصدق كل الصدق ، وجاء فصيحا ... مع أنه عرف أن الكذب مما تحسن الكتابة ولذا يقال إن أحسن الشعر أكذبه .

وعرف أن الكلام الفصيح يتفق في بيت أو بيتين في القصيدة ولا يمكن أن تكون درجة فصاحة قصيدة على نحو واحد . أما القرآن فإنه مع طوله فصيح كله ، وضربت قصة سيدنا يوسف عليه السلام مثلا للقصة الطويلة ومع ذلك فهي على درجة عالية من البلاغة ...

والملاحظ في اللغة أن الشاعر أو الكاتب إذا كرر مضمونا أو قصة ؛ لا يكون كلامه المكرر في براعة الأول ، والقرآن قد كرر قصص الأنبياء ، وأحوال المبدأ والمعاد ، واختلفت العبارات إيجازًا وإطنابًا ؛ ولم يظهر التفاوت في بلاغتها إطلاقا .

كما عرف أن كل شاعر يحسن كلامه في فن ويضعف في غيره ،

فامرؤالقيس كان أجود شعره في الطرب ، والنساء ، ووصف الخيل .. في حين كان أجود شعر الأعشى في الخمر ؛ وهكذا يشتهر أي شاعر بناحية من الوصف ... أما القرآن فجاء فصيحًا على غاية الفصاحة في كل فن .. ترغيبًا أو ترهيبا ... زجرًا كان أم عطاء .. رحمة أو عذابًا ...

ومن أدلة إعجاز القرآن البلاغي . أنه في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير يعبر عن معنى كثير ، فمثلا (ولكم في القصاص حياة) ألفاظ يسيرة ، ذات معان كثيرة ، ببلاغة غير منتهية الحد . فالآية جمعت نقيضين ، القتل والحياة ، وجعلت الموت سببا للحياة .

أسلوب القرآن

حير عقول بلغاء العرب وفطاحل اللغة وأثبت لهم أن القرآن كلام الله ، تأليفه العجيب ، وأسلوبه الغريب ، في المطالع ، والمقاطع ، والفواصل ، وكمال ربط الآيات ؛ فالمعروف عند العرب أنه إذا انتقل الكلام من مضمون ، إلى آخر ، أو اشتمل على بيان أشياء مختلفة انتفى حسن ربط الكلام .. أما القرآن فينتقل من قصة إلى أخرى ، ومن باب إلى باب ، ويشتمل على أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وترغيب وترهيب برباط حسن .. كما أدهشهم وأقنعهم سلاسة التركيب ، وسلامة الترتيب ، فلا هوبالشعر ، ولا هوبالنثر .. وليس من جنس خطب الخطباء ، أوشعر الشعراء .. ولا هوسحر ساحر ... ذهب عتبة إلى النبي وكان يتلو :

« حٰمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . (١ – ٣ سورة فصلت)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فأنصت إليه قليلا ورجع إلى قومه وقد سالت عبراته وهو يقول : « كلمني بكلام ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له » ..

وفي حديث إسلام أبي ذر يقول : « ما سمعت بأشعر من أخي أنيس ، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية ، أنا أحدهم . وجاءني يقول عن القرآن يقولون : شاعر كاهن ساحر ولكني سمعت قول الكهنة فما هو قولهم ، ووضعته على إقراء الشعر فلم يلتئم ، إنه لصادق وإنهم لكاذبون » .

ويحيى بن حكم الغزالي بليغ الأندلس في زمنه أسلم عندما سمع سورة الإخلاص تتلى فقال : « اعترتني منها خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة » ... وأقوال من استمعوا إلى القرآن فأسلموا لا تقع تحت حصر ، وكلها تشهد بما عليه القرآن من بلاغة وفصاحة .

وقد أهدى القرآن إلى اللغة العربية لونًا طريفًا من الإبداع لم يكن معروفا قبله ألا وهو تكرار بعض الآيات كقوله تعالى .

« فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ »

(١٦ سورة القمر)

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

(١٣ سورة الرحمن)

وقد شاع ذلك في اللغة العربية بعد القرآن ؛ فتكرر في المخمسات بيت واحد .. وأكثر ما يلاحظ ذلك في الأناشيد الوطنية التي تتكرر فيها بعض المقاطع .

موسيقا القرآن

أثبت البحاث من علماء العرب والمشتغلين باللغة العربية من غيرهم أن في القرآن الكريم موسيقا يلمسها القارىء ويحس بها المستمع ، هذه الموسيقا تتمثل في مقاطعه وفواصله ، وفي سوره وآياته ... ويقول المختصون إن زيادة حرف أو حذف حرف في بعض ألفاظ القرآن إنما يهدف إلى المحافظة على الموسيقا ويحرص على النغم الصوتي ، ففي الزيادة يلاحظ زيادة ألف في :

« وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا » ،

(١٠ سورةُ الاحزاب)

« يَـٰلَيْتَنَآ أَطعنَا ٱللَّهَ وَأَطَعنَا الرَّسُولَا » ،

(٦٦ سورة الاحزاب)

« فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا » .

(٦٧ سورة الاحزاب)

والحذف مثل حذف الياء في :

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ » ،

(٩ سورة الرعد)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

«وَٱلْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ. وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ».

(١ – ٤ سورة الفجر)

ومن موسيقاه تقديم ما هو متأخر في الزمان كقوله :

«فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ».

(٢٥ سورة النجم)

ففيها موسيقا نفقدها إذا قلنا : «فلله الأولى والآخرة» بالرغم من أن الأولى تسبق الآخرة في الزمان.

وكذلك من موسيقاه ورود ألفاظ غريبة ذات رنين خاص كقوله :

«تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ»،

(٢٢ سورة النجم)

«لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ».

(٤ سورة الهمزة)

أما تكرار بعض الألفاظ في آيات متلاصقة فيميز الإنسان الموسيقا التي تنبعث عند تلاوتها كقوله في سورة الشرح :

«فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا»،

وفي سورة القدر :

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ».

من ضمن ما نحسه من موسيقا في القرآن ، التناسب المراعى في الآيات بما يتناسب مع السورة . فسورة « ق » نجد أن هذا الحرف هو الظاهر في كل آياتها ونجد أن هذا الحرف قد تكرر ٥٧ مرة في آياتها البالغة ٤٥ آية ، وفي سورة « ن » تكرر هذا الحرف ١٢٤ مرة في ٥٢ آية هي آيات السورة .

ومن الموسيقا التي لوحظت في القرآن الكريم تلك التي تسمى في لغة الموسيقا (٢ نوار) إذ تتكون الكلمة من مقطعين متماثلين متكررين في سرعة وتوال مثل :

«فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ» .

(٩٤ سورة الشعراء)

أما الموسيقا التصويرية فتظهر جلية في سياق سور القرآن ونجدها واضحة في وصف المتقين وما هم فيه من نعيم إذ الألفاظ فيها تكون رقيقة النغم .. حلوة الصدى .. بعكس وصف الكافرين إذ نجد أن ألفاظها فيها قسوة وتخويف .. بل إن السورة الواحدة نجد أن نهايات آياتها تختلف باختلاف من تصف حالاتهم بالرغم من توالي الآيات ، فمثلا في سورة الحاقة نجد الآيات تقول عن رجل الجنة :

«فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ».

وتختلف نهايات الآيات ولو أنها متتابعة إذ تصف حال رجل النار

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فتقول :

«خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ» .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الحروف التي جاءت في فواتح السور إنما هي رموز لحركة السورة الموسيقية ، وما زال التقدم في الموسيقا يحمل إلينا جديداً عن موسيقا القرآن .

القرآن تنبأ بحوادث ثم وقعت

انطوى القرآن على أخبار حوادث تحققت بعد نزوله على الوجه الذي أخبر به كما في الآية ٢٧ من سورة الفتح :

«لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَآءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ» .

فدخل المسلمون المسجد الحرام آمنين وقد حلقوا رؤوسهم ومقصرين غير خائفين ، والآية ٥٥ من سورة النور :

«وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ

كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فأُولئكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ » .

وقد تحقق هذا في حياة الرسول ﷺ ففتحوا مكة وخيبر والبحرين واليمن وأكثر ديار العرب وما جاورها وانتشر المسلمون وجعل الخلفاء عنهم ومكن لهم دينهم ثم توالت الفتوحات في عهد الخلفاء والآية ١٦ من سورة الفتح :

« سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ » .

وهم بنو حنيفه قوم مسيلمة الكذاب .

والآية ١٨ من سورة الفتح :

« لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » .

وهذا ما حدث في فتح خيبر وما حصل عليه المسلمون من مغانم .

وسورة النصر التي تقول :

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وهذا ما حدث في حياة الرسول إذ دخل أهل مكة والطائف أفواجًا أفواجًا في الإسلام. وفي الآيات ٤٤ و ٤٥ من سورة القمر:

«أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ».

روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية لم نعلم ما هم الجمع حتى كان يوم بدر فسمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفنا الجمع.

والآيات المماثلة كثيرة مثل:

«الٓمٓ. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ».

(١ – ٤ سورة الروم)

«إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ».

(٨٥ سورة القصص)

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ».

(٧ سورة الأنفال)

مما تقطع بأن القرآن الكريم قد تنبأ بحوادث ثم وقعت .

والقرآن فصل قصص الأنبياء تفصيلاً لم يكن معروفًا ، فقصة سيدنا موسى وإلقائه في اليم . وتحريم المراضع عليه . ورده إلى أمه . ودعوته إلى قومه . وخروجه مع من اتبعوه وانفلاق البحر لهم ثم غرق جنود فرعون بعد أن انطبق عليهم البحر ... هذا التفصيل الذي جاء به القرآن أثبته العلم الحديث ... وقد أصدر أخيرًا العالم الروسي الدكتور إيمانويل فليكوفسكي كتاباً عن العلوم الطبيعية وتطوراتها التي حدثت من أزمنة غابرة وحقق به ما رواه القرآن في هذه القصة وغيرها . والحفريات والإكتشافات التي تظهر في كل وقت تضيف حقائق تثبت أن القرآن هو أول تفصيل لما لم يكن معروفًا ... كالحفريات التي حققت قصة سيدنا يوسف وما قام به ... وقصة الطوفان وفلك سيدنا نوح ... وملكة سبأ ... وهكذا في كل يوم تضاف أدلة جديدة على أن القرآن قد سبق التاريخ في تفصيل ما يكشف عنه .

قوانين وتشريعات القرآن

إن إعجاز القرآن بما حواه من قوانين وتشريعات لم يعد في حاجة إلى إيضاح بعد أن أخذت عنه الدساتير المختلفة لبلاد العالم وبعد أن شهد له خصوم الإسلام ... وأصبحت قوانينه يرجع إليها في الخلاف حتى لغير المسلمين ... ولم يترك القرآن أية علاقة لإنسان بغيره إلا وقد أوضح أصولها ... وما يجب فيها . كالتوريث والوصية والزواج والطلاق والعقد والقرض والبيع والشراء والمتاجرة . وقد أوضح القرآن من القوانين واللوائح والتشريعات ما يحفظ للمتعاملين حقوقهم ... ويكفي أن مؤتمر

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

متشرعي العالم الذي جمع أهل الرأي والفقه من مختلف الدول والذي عقد في لاهاي قد قرر أن الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن.

الدعوة الإسلامية ليست مقصورة على العرب

لقد أرسل الله الرسل لأقوامهم إلا سيدنا محمدًا فقد أرسله سبحانه وتعالى للناس كافة وختم به الرسالات والأنبياء. فبينما الآيات الخاصة بالرسل تقرر أنهم أرسلوا إلى قومهم مثل:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ»

(٥٩ سورة الأعراف).

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ اعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ».

(٤٥ سورة النمل).

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ».

(٤٦ سورة الزخرف)

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ».

(٥ سورة الصف)

وغيرها كثير نجد أن الآيات الخاصة برسول الإسلام تؤكد أنه أرسل للناس كافة مثل :

«وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» .

(١٠٧ سورة الأنبياء)

«وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» .

(٢٨ سورة سبأ)

«قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» .

(١٥٨ سورة الأعراف)

لهذا فإن الدعوة الإسلامية ليست للعرب وحدهم إنما هي دعوة للناس جميعًا فهل أبلغنا الدعوة لغير العرب ؟ ....

كيف نبلغ الدعوة إلى غير العرب ؟ . . .

إن تبليغ الدعوة الإسلامية إلى غير العرب ، تستوجب أن نقدم لهم السبيل إلى الاقتناع بمعجزة الرسول ... والقول بأن نوضح لهم ما في الدين الإسلامي من محاسن ودعوة إلى الطيب من العمل والخلق ، يرد عليه بأن كل دين قد دعا إلى الخير والعمل الحسن ، وليس هناك من خلاف بين الأديان في هذا الشأن ... فهل تترجم القرآن إلى لغات الأمم المختلفة؟ إنه بذلك يفقد إعجازه البلاغي ، فترجمته إذًا ليست السبيل إلى أن يؤمن به غير العرب. وإذا طلبنا من هؤلاء أن يتعلموا اللغة العربية

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ليقفوا على معجزة القرآن البلاغية والموسيقية فإن ذلك من العسير إن لم يكن من المتعذر، ولما كان القرآن هو معجزة الرسول الذي أرسل للناس كافة، فلا بد أن للقرآن أوجهًا أخرى للاعجاز غير ما سبقت تكون برهانًا ويقينًا لغير الناطقين بالضاد.

الإعجاز العلمي للقرآن

يقول البعض إن القرآن كتاب تشريع ومعاملات ... ويقول البعض إنه كتاب تأمل وعبادات ... وغيرهم يقول إنه كتاب توحيد وإيمان ... والبعض يقول إنه كتاب بلاغة وأدب ... والحقيقة إنه كتاب جمع فأوعى. وإنك لتجد فيه كل ما تريد .... أليس معجزة من الله ؟. وإن من ضمن أوجه إعجازه التي تخرص ألسنة كل مكابر الإعجاز العلمي. فقد أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن كتاب علم قد جمع أصول كل العلوم والحكمة. وكل مستحدث من العلم نجد أن القرآن قد وجه إليه النظر. أو أشار إليه ...

أما من يقولون إن القرآن ليس كتاب علم فقد فاتهم أن أول آية نزلت في القرآن هي الأمر بالقراءة ثم تكرار الأمر في الآية اللاحقة وتوجيه النظر إلى علم خلق الإنسان. فأول آيات القرآن هي :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

(١ - ٥ سورة العلق)

وبعد القراءة نجد الدعوة إلى العلم بالقلم ... فالآيات إذًا لم تقتصر على القراءة بل دعت إلى الكتابة . وقررت أن العلم من الله ... تشريفًا وتكريمًا للعلم ... ونجد أن في القرآن خمسًا وثلاثين آية تأمر بالنظر فيما يتعلم منه الإنسان . وأكثر من خمسين آية تدعو إلى النظر وطلب السير في الأرض للتعلم ... مثل :

« ٱنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ » ،

(٩٩ سورة الأنعام)

« وَٱنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا » .

(٢٥٩ سورة البقرة)

وآيات الدعوة إلى السير مثل :

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ » .

(٢٠ سورة العنكبوت)

إن هذه الآيات لهي دعوة صريحة للعلم ... وتوجيه النظر إلى مختلف العلوم ... وليس كالقران كتاب كرم العلماء – وذلك من سبل الدعوة الى العلم – إذ تقول الآية ٨ من سورة فاطر :

« إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

وجعلهم الله سبحانه بعد الملائكة في شهادة التوحيد ، تقول الآية

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

١٨ من سورة آل عمران .

« شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » .

ومن يعارض في أن القرآن كتاب علم فليتدبر آياته ليرى أن ألفاظ العلم قد تكررت في القرآن أكثر من ١٦٠ مرة وأنه وقد حوى ٦٢٣٦ آية منها حوالي ٧٥٠ آية كونية وعلمية والباقي آيات للتشريع والمعاملة والعبادات والعقائد والتكاليف والتوحيد والتأمل وقصص الأنبياء السابقين ... ومن يقول إن الآية الشريفة :

« يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ » .

(٦ سورة الزمر)

آية معاملة أو تشريع أو تأمل أو توحيد ؟ ... أو ليست هذه الآية قد ضمت أصول علم الأجنة الذي يقرر أن الجنين بعد نموه يكون محاطًا بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة تعرف باسم المنبارية ، والاميونية ، والخوربونية ... أو لا يسمى مثل هذا الغشاء الأصم في اللغة العربية ظلمة ؟ ... ومن يقول إن الآية الشريفة :

« أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » .

(٣٠ سورة الانبياء)

ليست آية علمية وقد قررت حقيقة لم تعرف إلا في السنين الأخيرة. وعندما اكتشفت نظرية «لابلاس» في خلق السماوات والأرض اعتبر ذلك نصراً للعلم في حين أن القرآن يقررها من عشرات المئات من السنين... والآيات المشابهة مئات... حوت علوم الطبيعة والفلك والجيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والوراثة وعلم النفس والطب الاجتماعي والصحة والتاريخ والجغرافيا والميتافزيقا وما لا سبيل إلى حصره.

فهل إذا أوضحنا للعالم غير العربي أن القرآن معجزة علمية قد حوى أصول العلم الحديث. وسبق إلى كل مستحدث من العلوم. ألا يكون هذا الوجه من إعجاز القرآن كافياً لإقناع رجاله بمعجزة القرآن... لا سيما أن حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه أو يشك فيه...

أو لا يكون إعجاز القرآن العلمي بذلك... هو السبيل إلى تبليغ الدعوة الإسلامية لغير العرب؟....

إن اليوم الذي ننشر على العالم بلغاته المختلفة ما قد سبق القرآن إلى القول به وأثبته التقدم العلمي في مختلف العلوم لهو اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة، وأبلغنا الدعوة... وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

النفاثات في العقد

و

الحاسد إذا حسد

مازال البعض يعتقد أن الحسد إنما هو إصابة مباشرة من عين الحاسد تصيب المحسود ، في شخصه أوماله أوولده ... وما زالت القصص المتعددة تروى لتؤكد هذا الاعتقاد ... وأغلب هذه القصص موضوعة . والصحيح منها هو من قبيل الصدفة البحتة . وكثير من أصحاب هذا الاعتقاد يستندون في تأييد رأيهم إلى ما جاء به القرآن الكريم في سورة الفلق ، فهل ما جاء به القرآن يؤيد هذا الرأي أوأن له رأيًا آخر ، أوضحه التقدم الفكري في علم النفس ؟ ...

تقول سورة الفلق :

« قُلْ أَعُوذ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَد . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

فالله سبحانه يوجه الرسول لتعليم الناس الاستعاذة به جل شأنه من كل شر... وأي شر... شر ما خلق ، من الإنسان والحيوان ، والنبات والهواء ، فلكل كائن جانب من الشر... هذا الشر يتمثل فيما يصيب الإنسان من الضرر... أي ضرر.

والغاسق إذا وقب ، هو الليل إذا توغل ، وأخطر الشر ما جاء في سواد الليل ، حتى إن الشر نفسه يعظم خطره ويشتد أمره بالليل أكثر من النهار، كالحريق والهدم والغرق ... يشتد أمره ويعظم خطبه إذا كان ليلا ، كما أن هناك أنواعًا من الشرور لا تصيب إلا في الليل غالبًا ، كالقتل والسرقة ، لذلك كان لا بد من الاستعاذة بالله من هذا الشر.

وشر النفاثات في العقد ، فسرت على أنها شرور السحر والسحرة ... وأن النفاثات هن السحرة اللاتي ينفخن نفخًا فيه رذاذ من الفم في عقد تعقد لينعقد السحر ... ، ولو علمنا أن ما ورد في القرآن الكريم من العقد يعني الرابطة القوية ، فعقدة النكاح وردت في أكثر من آية بمعنى رابطة الزواج ... أفلا يكون شر النفاثات في العقد هو شر النمامات في رابطة الزواج وفي الصداقة أو الأخوة وفي كل عقدة تجمع اثنين ؟ ... وما أخطر النميمة وشر النمامات ... فكم أفسدت زوجات ... وكم هدمت أسرًا ... وصداقات ...

أما الحاسد فهو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود ... فهل له شر من مجرد التمني ؟ ... إن القرآن جاء في ذلك صريحًا ... فهو يقول استعيذوا بالله ... لا من الحاسد ... نفسه ... بل من شره ... وليس من شره فقط بل من شره إذا حسده ... فكأن الحاسد ليس منه ضرر... إلا إذا عمد إلى الشر... وكان في حسده إيجابيًا ... ولم يظهر مدى عمق هذه الآية طبيا ونفسيا إلا بعد أن كشف العلم عن الحسد ... والحساد ... وتأثير الحسد في نفس الحاسد ... ودور الشر الذي يلعبه ... فجاء العلم ليفسر الآية ويستقيم معها ...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يقول العالم البشري والنفسي الدكتور بيتر شتانيكرون إن الحسد أشبه بساحرة لها ثلاثة رؤوس أحدها الحسد أما الاثنان الآخران فهما الحقد والغيرة ، وأينما وجدت واحداً من هذه الثلاثة فلا بد حتما أن تجد شقيقيه ... فمتى وجد الحسد في نفس شخص فلا بد أن تتولد فوراً معه الحقد والغيرة ... وأينما استشعرت في إنسان الحقد والغيرة فاعلم أن الحسد موجود فيه .

ويقول الدكتور فيكتور بوشيه إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد ، وإنها لآفات تنتج سموماً تضر بالصحة وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتفكير والعمل ...

فالحاقد يظل طول وقته لا يفكر إلا في النيل من الذي يحقد عليه ... فقد يكذب عنه ... وقد يتقول عنه ما لم يقله ... وقد يضر به ولا يهاب في سبيل ذلك ما يفعل ... والغيور .... وهو ذلك الذي تعمي الغيرة بصره وبصيرته لا يرى في لوحة أفقه إلا من يغار منه ... وهو لا يهدأ حتى يسلبه ما يغار منه بسببه ... أكان عملا ... أما مالا ... أم مركزاً . والحاقد والغيور وهما الشخص الحاسد يعاني في سبيل ذلك من المحن والألم ما يجعله يفكر في التعجيل بالتنكيل بمن يحسده ... وإذا ما فقد هذا الحاسد جانباً من طاقته وحيويته ... اعتل في تفكيره ... وهذا الاعتلال في التفكير ... يكون مرحلة من مراحل الجنون التي لا يدري فيها الإنسان ماذا يفعل ...

ولذلك سمعنا كثيراً عن غيور قتل من يغار منه ... وعن حاقد أعماه الحقد ... فلم يجد إلا الحياة ينزعها ممن يحقد عليه ... أما الوشاية

التي يقوم بها الحاسد ... للايقاع بالمحسود ... أما ترتيب الضرر الذي يمضي الحاسد حياته في تدعيم أركانه ضد المحسود ، فهو أقل الشرور التي تقع من الحاسد ... إذا حسد ...

وهكذا يتمثل شر الحاسد ... إذا حسد ...

وهذا ما طلب الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ به منه ... فلا شر للحاسد ... إلا إذا حسد ... وهذه هي جوانب شره ... التي تتساوى مع شرور الخلق ... وشرور ما يأتي به الليل إذا توغل . والنميمة بين الأزواج والأهل ... وهكذا يضع التقدم العلمي في علوم النفس تفسيراً علمياً لسورة الفلق ليثبت أن القرآن الكريم يسبق العلم في كافة اتجاهاته وسيظل كذلك ... إلى ان تقوم الساعة ... فهو تنزيل من رب العالمين ... ووحيه سبحانه إلى سيد المرسلين ...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وسوسة الجنة والناس

طلبت السورة الأخيرة من القرآن الكريم أن يبتعد الإنسان عن الأوهام التي يبثها الناس فيه ، أو التي تنبعث في نفسه أوهامًا داخلية كالأفكار أو الخيالات . وأن يستعيذ الإنسان بالله من شر هذه الأوهام الخارجية والداخلية إذ أن نص السورة هو :

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ . مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ » .

والمشاهد في الحياة أن الإنسان سريع التأثر بما يلقيه عليه الغير ، لا سيما إذا كان ما يلقى إليه يخصه ، فكم من سليم الجسم صحيح البدن كامل الصحة ، قابله من أوهمه بأن علامات الضعف بادية عليه أو أن لونه فيه تغيير ... فلا يلبث هذا المعافى أن تظهر عليه آيات الضعف والشحوب ... ثم المرض ... وكم من يسمع إلى شكوى غيره من مرض معين ... فإذا وصف له أعراضه فإنه يحس بها في توه ولحظته ... وكم من إذا علم بانتشار مرض ... لا يلبث إلا أن يصاب به ... ومن الملاحظ أن في أزمنة الأوبئة . تظهر أعراض الوباء على الكثيرين دون أن يكون قد أصابهم المرض . ويطلق الطب على مثل هذه الحالات اسم أعراض عصبية للمرض ... فهذا القيء والإسهال العصبي في زمن الكوليرا وذلك الصداع والقشعريرة في أيام الملاريا ... وأعراض التسمم من أكلة إذا

شكا منها إنسان تناول الطعام مع غيره ... كل ذلك من علامات وسوسة يلقيها الناس للناس .

وكلنا لمسنا – بلا شك – كيف يتأثر الإنسان إذا ما اختلى بنفسه وأطلق لخياله العنان وكان ميدان الخيال المرض ... وكيف يمرض ... وكيف إذا ما تصور الإنسان مرضًا أصابه ... حتى لو كان ورمًا في جهة وأخذ يتحسسها فهي بلا شك تملأ عليه إحساسه بالمرض ... وكيف إذا ما تذكر الإنسان شبابه وقوته ... واستشعر بمرور هذا الزمن ... يصيبه الوهن والضعف ... فينقلب من فتوة الشباب إلى ضعف الشيخوخة في لحظات ... بل يرجع العلماء الانتحار إلى محاولات يحاولها الإنسان لتنفيذ أوهام تسلطت على نفسه في خلوة تخللتها أسوأ الأوهام والوساوس .

وقد اهتم العلم الحديث اهتمامًا بالغًا بهذه الوساوس الخارجية التي يلقيها الناس والداخلية التي يخلقها الناس في داخليتهم ... لما لهذه الوساوس من أثر في حياة الفرد والمجتمع . فيقول الدكتور أرنولد هاتستنكر في كتابه « الرغبة في الحياة » : إن في داخل كل إنسان حافزين متضادين أحدهما يحفزه للمحافظة على حياته ، اما الآخر فيدفعه إلى التخلص من هذه الحياة ، فإذا انتصر الأول حافظ الإنسان على حياته ، وإذا انتصر الثاني تكون المحاولة للتخلص من الحياة .

إن عددًا كبيرًا من المرضى الذين تمتلىء بهم عيادات الأطباء والذين يخفق الطب في علاجهم برغم جودة العلاج والذين يشكون أمراضًا وتظهر عليهم أعراض أمراض أخرى ... أو الذين يشكون من أعراض أمراض لا وجود لها . هؤلاء ضحايا وساوس إما خارجية من غيرهم او داخلية

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

نتيجة خيالات كاذبة ... بل إن الوسوسة الداخلية أحيانًا تؤثر في الإنسان تأثيرًا تدفعه إلى أن يحس بأن هناك من يدفعه إلى الموت ... أو إلى الجنون.

فيقول الدكتور ارنولد إن طيارة شابة قد وصفت له وهي تطير يومًا بمفردها فوق المحيط ليلا . أن استولت عليها الأوهام التي تخيلت بها أن بجوارها صديقًا من الطيارين الذين لقوا مصرعهم في حادث . وكيف أنه الآن في عالم لا نهائي جميل . خالي من المرض والهموم والخوف . وإن كل شيء فيه هادىء . فهل تأتي معه ؟ ... وفجأة وهي فريسة هذه الوساوس . انتبهت إلى نفسها وتغلبت عليها الرغبة في الحياة . وتقول الطيارة لو لم أتخلص من هذه الخيالات سريعًا ... لأصبحت واحدة من الطيارين الذين تفقد طائراتهم وسط المحيط ... الذي يبتلع الطائرة والطيار والسر.

وقد أثبت العالم النفساني ج . أ . هارفيلبد مالاوساوس من تأثير على قوة الإنسان العضلية كذلك إذ يقول في كتابه (سيكلوجية القوة) إنه أجرى على ثلاثة رجال متساويين القوة تقريبًا . تجربة لاختبار تأثير الأفكار في قواهم . وكان يقيسها بواسطة دينامومتر - وهو جهاز يقيس قوة الشخص - وأنه قسم التجربة إلى ثلاث مراحل . ففي المرحلة الأولى اختبر قوة الرجال الثلاثة وهم في اكتمال وعيهم فكان معدل قوتهم ١٠١ رطلا ثم نومهم تنويمًا مغناطيسيًا وأوحى إليهم بأنهم في غاية الضعف والوهن فأصبح معدل قوتهم ٢٩ رطلا أي ما يقرب من ثلث قوتهم العادية . وفي المرحلة الثالثة أوحى إليهم أنهم في غاية القوة فوصلت معدلات قوتهم إلى ١٤٢ رطلا لكل منهم أي زادت قوتهم خمسة أضعاف ما كانت عليه في حالة الضعف .

والعلاج بالتنويم المغناطيسي إنما هو محاولة لتخليص الإنسان من الوساوس المسيطرة عليه وإبدالها بأفكار سعيدة بعيدة عن المرض ... وفي كل حالات المرض الذي لا يفيد فيه العلاج ، يكون سبب المرض الوساوس الداخلية أو الخارجية ، بل إن تقدم الحياة المدنية ... وازدياد عدد الناس وتزاحم طلاب العيش في العمل ، قد نشر الوساوس التي بسببها أصبح المرضى أضعاف ما كان عليه . وتقول الدكتورة فلاندرز إنها درست في المركز الطبي بكولومبيا حوالي ١٥٠٠ مريض يشكون أمراضا مختلفة فوجدت أن الأصل في مرض أكثر من نصفهم ناتج عن وسوسة سمعوها أو خلقوها بانفسهم . ويقول الدكتور روبنسون بجامعة جونز هوبكنز إنه فحص خمسين مريضا يشكون الغثيان والمعدة فلم يجد من هؤلاء المرضى إلا ستة أمراضهم عضوية ، أما الباقون فأمراضهم مما في داخل نفوسهم من وساوس ...

ويقول برسي هوايتنج مدير شركة ديل كارنيجي بنيويورك :

« لقد مت ، أوأوشكت أن أموت ، عشرات المرات ، كان أبي يمتلك صيدلية ، ومن ثم كنت دائم الاتصال بالأطباء والممرضين . وقد ألممت من خلال أحاديثي مع الأطباء بأسماء وأعراض أكثر الأمراض . ولكثرة خوضي في أحاديث الأمراض أصبت بداء « الوسوسة » ، فكنت إذا قضيت ساعة أو ساعتين أتحدث عن أحد الأمراض أشعر بعد قليل بأعراضه ، ثم لا ألبث أن أحس بآلامه وأوجاعه . وقد حدث أن اجتاح وباء الدفتريا البلدة التي نقطنها في ولاية ماشاسوستش وكنت في ذلك الوقت أعاون أبي في الصيدلية على بيع الأدوية والعقاقير لآل المرضى . ثم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

حديث ما كنت أخشاه وأتوقاه ... فقد مرضت بالدفتريا أو هكذا أيقنت ... وذهبت إلى الفراش وأنا أتمثل في مخيلتي أعراض المرض التي أعرفها ، وأرسلت أستدعي الطبيب ، فلما انتهى من فحصي قال : « نعم يا برسي لقد أصبت بالدفتريا » ، وقد خفف هذا بعض العناء الذي كنت أستشعره ، ومن ثم استسلمت لنوم عميق في تلك الليلة . وفي اليوم التالي استيقظت وأنا مكتمل الصحة والعافية ... لقد كنت أتخير من الأمراض اخبثها وأمرها ثم أدعي أنني مصاب بها .. ولا أفتأ أتخيل أنني مصاب بها .. لقد بلغت بي الوسوسة إلى حد أنني كلما خطر لي أن أبتاع بذلة جديدة بمناسبة حلول الربيع كنت اسائل نفسي : « أينبغي لي أن أنفق المال في شراء بذلة لن أعيش حتى أرتديها » . إنني أضحك وأنا أذكر هذا ، ولكن ما أضحك منه الآن كان في حينه أليما مريراً .. لقد وجدت أن من المحال الجمع بين القلق من أمراض وهمية والضحك من هذه الأمراض الوهمية في الوقت نفسه ومن ثم فضلت الضحك ومازلت ملتزماً إياه حتى الآن » ...

ولقد أثبت الطب أن الوساوس التي تتملك الإنسان تسبب انزعاجاً .. هذا الانزعاج ينتج عنه توتر الأعصاب .. وما القرحة المعدية .. وخفقان القلب ... وضغط الدم وغيره من الأمراض الخطيرة إلا نتائج توتر الأعصاب .

هذا بعض شر الوسواس ... أوضحه التقدم في علوم النفس والطب ... وأظهر مدى ما اشتملت عليه سورة الناس من حقائق طبية ونفسية ، كانت خافية حتى أوضحها العلم الحديث ... ليثبت معجزة القرآن العلمية ...

سكينة النفس

إن القرآن الكريم هو أول كتاب في العالم نبه الأذهان إلى سكينة النفس وأهميتها ونتائجها وجعلها من سمات المؤمنين ...

فالآية الرابعة من سورة الفتح نصها :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ » .

وفي سورة التوبة يقول القرآن في الآية السادسة والعشرين :

« ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ » .

وهذه السورة – وفي الآية الأربعين – تقرر عن سيدنا رسول الله أنه :

« إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

وتتكرر الآيات التي تبشر من وهبهم الله سكينة النفس حتى إنها بعد الموت ترجع إلى ربها راضية مرضية كما تنص الآية السابعة والعشرون من سورة الفجر التي تقول :

« يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ

http://www.al-maktabeh.com

رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً » .

هذه الآيات ومثلها ، تقرر أن سكينة النفس إحدى هبات الله التي يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين لتزيدهم إيماناً ... والمؤمن هو الذي آمن بالله حق إيمانه . فإن أصابه خير اطمأن به وشكر الله عليه ، وإن أصابه الشر ، صبر ولم يجزع منه ، ودعا الله أن يخفف عنه ... ويرى أن كل ما في الوجود من الله وإلى الله ، ويؤمن بأن رزقه وعمره وولده إنما هي أمور كتبها الله ، ولا دخل له بها ، فلا يزعجه الشر ، ولا يهزه الفرح . هذا المؤمن قد وهبه الله سكينة النفس ، فأصبح بذلك عصيا على القلق ، بعيداً عن الاضطراب العصبي الذي يسببه شدة الفرح أو كثرة الحزن .

والمؤمن الذي خالط نفسه الإيمان بالله بمنجاة من الخوف ، ذلك المرض المدمر الذي لا يصيب النفس إلا حطمها ، ولا يحس به الإنسان إلا أفقده صحته وعقله ... ذلك المرض الذي انتشر في العصر الحديث انتشاراً هائلا وتعددت أسبابه وأشكاله كالخوف من الموت ، ومن المرض ، ومن الجنون ، ومن الفقر ، ومن المجهول ... أيا كان هذا المجهول ...

وبعد أن قال القرآن عن سكينة النفس ووجه النظر إليها ... بعد عشرات المئات من السنين ... وبعد سنوات طويلة في الأبحاث الطبية والسيكولوجية يحاول العلم جاهداً فيها علاج الإنسان ووقايته ، يصل إلى الحقيقة التي قررها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ...

لقد كتب عن سكينة النفس في السنوات الأخيرة ، عشرات الكتب ، بعد ما ثبت أن ماتضفيه السكينة على الإنسان لا يتمثل في حيز معنوياته ، بل تتجاوز ذلك ، حتى تشمل وظائفه العضوية ، وصحته البدنية والعقلية .

ومن أحدث ما كتب في هذا الشأن ما نشره الدكتور «ي. ليبمان» في كتابه «سكينة النفس» حيث يقول : «سكينة النفس هي الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه إنه يعطي الكثيرين الذكاء والصحة ، والمال والشهرة ، أما سكينة النفس فإنه يمنحها بقدر». ويقول : «إنه بعد ربع قرن من التجارب أصبح يدرك « أن سكينة النفس هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة ، وأنها تزدهر بغير عون من المال ، بل بغير مدد من الصحة . وفي طاقة السكينة أن تحول الكوخ إلى قصر أما الحاجة إليها فإنها تحيل القصر سجنا . »

ويقول «ريموند برل» عالم الأحياء : «إنه ليس في وسع أهل الكهانة أن يقدروا طول العمر . ولكن يستطيع أهل العلم أن يعدوا كشوفاً وجداول تبين آجال الذين أحصيت أيام حياتهم من الناس فيتضح منها أن من لم تلح عليه ثورات الغضب ، أو يستبد به الهم أو الغم . فهو مطبوع على سكينة النفس . وهذا أهم أسباب طول العمر مع كامل الصحة» .

ومن الحكم التي تتردد حاليا تلك التي تقول : « إذا كان القرن التاسع عشر قد حمل إلينا أساليب التعقيم والتحصين . فإن القرن العشرين قد جاء بأصل الداء ... وأصل الشفاء النفس وسكينتها » . ومن عجب أن القرآن قد جاء بها في القرن السادس ولكن تفسيرها العلمي لم يعرف إلا في القرن العشرين .

لقد أثبت الأطباء أن الأمراض التي ليس لها سبب عضوي ، سببها النفس . بل أخطر من ذلك أن معظم الأمراض العضوية سببها كذلك النفس ، إذ يقول الدكتور جوبر : « إن في استطاعة سبعين في المائة من المرضى الذين يقصدون إلى الأطباء ، أن يعالجوا أنفسهم بأنفسهم إذا هم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

تخلصوا من القلق والخوف الذي يسبب الأمراض العضوية ، والتي منها عسر الهضم وقرحة المعدة ، واضطربات القلب ، والصداع وبعض أنواع الشلل » .

ولعل أحسن قول قاله الطب في ذلك ، تلك الحكمة التي تعلو عيادة في مدينة بوسطن كتبتها الدكتورة ساره جوردان الإخصائية العالمية في علاج أمراض واضطرابات المعدة والإمعاء والتي يطلقون عليها اسم « القديسة التي تحرس باب المعدة » ونص هذه الحكمة هو : « أن سكينة النفس ضرورية لصحة البدن » .

وذلك القول الذي قاله الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب إذ يقول : « إن الذين لا يكافحون القلق يموتون مبكرين » .

وليت أمر النفس وسكينتها تقف عند حد مرض الإنسان وشفائه ، بل يقرر علماء الاجتماع أن حوادث العمل وإصابات العمال إنما ترجع إلى النفس الحائرة . وأن صاحبها أقل إنتاجاً في عمله ، وأكثر تعرضاً للخطر من جراء إصابات العمل التي هو سببها ولذلك فإن المؤسسات والشركات تهتم بمقابلة موظفيها وعمالها قبل تعيينهم وتعرضهم على علماء النفس ليختاروا من بينهم أكثرهم سكينة في نفسه ، وأقلهم قلقاً ، وهكذا تفتح سكينة النفس أمام صاحبها وسائل العمل ...

أما التجارة فكلنا نعلم كم من تاجر فقد سكينة النفس ففقد بذلك عملاءه وفقد ماله ... فليس هناك من يحتمل أن يناقش من كان يعاني قلقاً أو اضطراباً ... وكذلك في أي عمل ... وكل عمل ... يربط الإنسان بغيره . وليس هناك في الحياة من يمكنه أن يعيش منفرداً .

ويعتقد الدكتور « هربرت ستاك » مدير معهد قيادة السيارات بأمريكا أن معظم حوادث السيارات التي تصيب حوالي مليونين بين قتيل وجريح ، وتحطم ما يزيد على مليون سيارة في أمريكا وحدها في العام الواحد ، تنشأ من قلق يساور نفس السائق أو انفعال ، كالخوف أو الهم ، أو الغضب أو حتى الفرح ... وأن ما يحتاج إليه السائق ليتفادى الحوادث هو سكينة النفس . لذلك فإننا نعلم مبلغ صحة ما يقوله « الدكتور هاري أمرسون » إذ يقول إن أهم الأركان التي تقوم عليها الأصول الجوهرية للحياة الصحية الخالية من أمراض البدن والنفس هو سكينة النفس .

وهكذا يوضح علم الطب النفسي في أحدث اكتشافاته أن سلسلة طويلة من الأمراض من البرد العادي إلى النقرس ... ومن أمراض عضوية إلى أخرى نفسية ... ومن إخفاق في العمل .. وقلة في الإنتاج كلها ترد إلى المتاعب العقلية لا البدنية ... وأن علاجها هو سكينة النفس ... ولا شئ غيرها .

ألا يكون القرآن الكريم قد سبق هذا العلم ... بل زاد على ما وصل إليه العلم بأن قرر أن الله يهب السكينة للأخيار من عباده . وأنه عندما يرضى على عباده ، فإنه يهبهم سكينة النفس التي تنجيهم من كل شر في الحياة ، وتهيئ لهم سبل السعادة والصحة . لذلك فإنه وهبها للمؤمنين عندما أخلصوا للرسول في بيعتهم له – وبالخير ما وهبوا – إذ تقول الآية الثامنة عشرة من سورة الفتح :

« لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » .

« وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ »

« قرآن كريم

إن مما جاء في القرآن الكريم من معجزات علمية حققها التقدم العلمي في علوم النفس ، ما جاء بالآية ٢١٦ من سورة البقرة إذ تقول :

« وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » .

وقد اعتبر المفسرون أن المقصود بالشيء المكروه في هذه الآية هو الحرب إذ يتمشى ذلك مع سياق الآية فهي تبدأ :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ » .

وجاء بالآية ١٩ من سورة النساء:

« فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

وقال المفسرون إن الآية جاءت في الزواج إذ بها :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

والملاحظ أن هاتين الآيتين لا تقصدان في معناهما أن الشيء المكروه هو القتال أو النساء فقط إنما تقرر أن القتال قد يكون فيه – كما في غيره مما تكرهون – الخير ، وكذلك في النساء قد يكن فيما نكره منهن خيراً كما فيما نكره من غير النساء ... والمعروف أن الكره في القتال أو كره الحرب غير مطلوب لما ينتجه هذا القتال من خير كمغانم أو فتوحات أو رد الاعتداء أو حفظ كرامة الوطن أو الذود عن حياض الأمة ...

والزوجة قد تكون مكروهة لعدم ملاحة وجهها أو لانعدام ما يجعلها مشتهى الرجل ، ولكن يجعل الله فيها خيراً بأن تكون أما لأولاد صالحين ، أو تكون صابرة على ما قد يصيب زوجها ، أو تعينه بالرأي أو المال أو العمل إذ ما احتاج ، بعكس ما تكون عليه زوجة محبوبة لجمالها أو لنسبها .

والقرآن الكريم بهاتين الآيتين قد قرر أن المكروه قد يكون فيه الخير. وبعد عشرات المئات من السنين تتوالى الأبحاث النفسية التي يقرر فيها العلماء أن كل ما يعتقده الإنسان شرا قد يكون السبب في الخير ، وتتتابع المؤلفات التي تحمل عناوين كبيرة ، والتي تحقق ما قال به القرآن وذلك مثل : « الإخفاق أساس النجاح » ، و « الشدائد تخلق الرجال » ، « الألم يصوغ الإنسان » .

ولعل أشد ما يكرهه الإنسان في حياته « المرض والفقر » فماذا يقول البحث النفسي عنها ...

يقول الدكتور لويس بيتشي : إن المرض يتيح لنا أندر ما في الدنيا ،

إنه يمنحنا « فرصة ثانية » لا للانتفاع بالصحة وحدها ، بل بالحياة نفسها . إن المرض يطرد من رؤوسنا سخافات كثيرة ، ويردنا إلى التواضع والتطامن ، ويرينا أنفسنا على حقيقتها ، وبأقدارها الصحيحة . وأبرز ما يكون الأثر النافع للمرض حين يعترينا منه جزع ؛ وكثيراً ما أصلح التيفود أو الالتهاب الرئوي حال السكيرين واللصوص والقتلة ...

إن بعض الناس لا يهتدي إلى نفسه ولا يعرف ربه ولا يفطن إلى ما خلق له من عمل في الدنيا إلا حين يضيق عليه الباب بالمرض . وقد اهتدى كثير إلى جوانب طيبة في الحياة لم يكونوا يعرفونها إلا بالمرض ؛ فكتب أحدهم يقول : « بعد أيام قليلة تقضى في الفراش يصبح الزمن ترفًا لم نكن نتصوره ؛ فهناك وقت للتفكير ، ووقت للاستمتاع ووقت للابداع والابتكار ، وأخيراً وقت للتفكير في خير ما في الطبيعة الإنسانية وأعمقه ، المرض من أعظم مزايا الحياة ، فهو يهمس في الأذن بأن مصير الإنسان مرتبط بأسمى القوى » .

بل إن المرض يسبب رجوع كثير من المتخلفين عن ركب المؤمنين إلى نعيم الدين ...

إن روبرت لويس ستيفنسون كان ثائرًا على الدين وكان ينعته بأنه : « أخطر تحذير لقوى الإنسان » . ونعت نفسه بأنه شاب « لا يؤمن بوجود الله » ، وتصادف أن مرض . فبدأ على حد قوله : « تخامره الشكوك الأولى في صحة الشك في الله » ثم بعد ذلك كتب يقول : « إن هذا العالم عجيب حقًا ، وإن هناك إلهًا ظاهراً لمن يريد أن يبحث عنه » . ومرض بعد ذلك بمرض السل الوبيل ، وما إن بدأ ينتعش من هذا المرض حتى كتب يقول :

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

«لقد استقمت على الطريق كالسفينة التي أحسن الربان قيادتها وقد تولى الأمر كله ذلك المرشد الذي لا تدركه الأبصار – هو الله – » .

ويقول في ذلك الدكتور ألكسيس كاريل : «إن الصلاة والدعاء هما أعمق موارد قوتنا وكمالنا ، وهاته الموارد نلجأ إليها في الشدة ... » ولقد كان جون فليفل أول من توصل إلى ذلك إذ كتب في القرن السابع عشر : «الشدائد والكرب طريق لرحمة الله» ، وذلك بعد القرآن بما يزيد على الألف سنة ... ويقول الشاعر ملتون : «خير الناس عملا أكثرهم عذابًا» ، ودليله في ذلك قصيدته «الفردوس المفقود» نظمها بعد ذهاب بصره ... وكذلك من نعم الله على العباد الألم وهو مكروه إلا أنه تنبيه على مرض ، ودعوة لطلب الشفاء ...

وكم في حياة القادة والعظماء والعلماء من كان مرضه السبب في نجاحه النجاح المنقطع النظير، فهذا الشاب الذي أصيب بشلل الأطفال فعجز عن الحركة ، كان يتنقل على عربة يدفعها أحد أعوانه ، وصار يخطب ... ويقابل الجماهير ... لقد أصبح في يوم – بالرغم من مرضه – رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية ... وذلك الشاب الذي أصيب بالصمم فأخرج روائع الموسيقى العالمية ... وأضرابهما كثير ...

أما الفقر فإن الإحصاءات تدل على أن أكبر نسبة في النجاح في معاهد التعليم هي بين الفقراء ، وأنهم يمتازون بالتفوق الكبير في نجاحهم . أما في الحياة العامة فالقصص في ذلك أكثر من أن تحصى أو ينوه عنها .

فهذا غاليليو أكبر أئمة العلم والاختراع ، الذي قدم للعلوم الفلكية والطبيعية والكيميائية أهم أسسها ، كان أبوه يشتغل في تجارة الأصواف

ليكسب قوته وقوت عياله وأسرة كبيرة . وكان غاليليو يعاون أباه فلما أظهر ذكاء نادرًا عز على أبيه أن يقبره ، فألحقه بمعاهد التعليم . وشعر غاليليو بمقدار تضحية أبيه وأسرته في سبيل تعليمه ، فأصبح في سجل العلماء الخالدين .

ونيوتن . اعتدى عليه في الطريق أحد زملائه في الدراسة ، بأن ركله في بطنه ركلة شديدة لازدرائه بملابسه ، وأراد أن يثأر لنفسه ، وعول على أن يبز خصمه ، فأصبح أول المدرسة ، وسار على الجهاد والمثابرة حتى نجح .

والكاتب أوجين أونيل اشتغل بالأدب والقصة عندما أحس بمرارة الجوع ، ونجح في التأليف نجاحًا يدل عليه حصوله على جائزة بوليتز للأدب ثلاث مرات ، ثم جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٣٦ .

والموسيقي الذائع الصيت هاندل . ألف قطعته الموسيقية « المسيح » وهو يعاني أعنف محنة مالية كادت أن تعصف بحياته أو تدخله السجن ، فاضطر أن يعمل ، ويعمل بسرعة ، فأخرج هذه القطعة الخالدة ...

ولدى كل فرد منا الكثير من القصص التي شاهدها أو سمع بها ، والتي كانت الشدائد سببًا في نجاح صاحبها . وإذا كان أحد أكابر علم النفس يقول : « إن المصائب التي قد تحيق بنا هي في الغالب نعم مستترة ، لأنها خير حافز لنفوسنا وأقوى العوامل التي تثير نشاطنا وتظهر أحسن ما فينا » ، ويقول غيره : « الإخفاق قد يكون سبب النجاح » . وغيره

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يقول : « قد يكون الخير فيما نكره » ... فتأمل قول القرآن منذ أربعة عشر قرنًا حقًا وصدقًا :

« وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ »

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

« قرآن كريم »

يقول ديل كارنيجي : « إن العالم سايبل بارتريدج قد أوصى بنهج يحقق السعادة . وقد نجح هذا النهج تماماً حتى إنه طبعه ووزعه على الناس . هذا النهج لا يزيد عن التفكير الإنشائي السعيد . إذ أنه يخلص النفس من القلق ويزيد حظ الإنسان من الاستمتاع بالحياة . وجميع العلماء الذين درسوا السعادة ووسائل خلقها في الإنسان قد قرروا أن التفكير في السعادة واصطناعها والتحدث بها هي القاعدة الأولى لجلب السعادة » .

لقد أثبت علم النفس الحديث أن للانسان اثنتين وأربعين قدوة أو استعداداً . حددوا مراكزها ومواضعها . وقسم علماء النفس الحياة النفسية إلى طبقتين : الشعور وينطوي تحته الإرادة والتفكير . واللاشعور ويختص بالإحساس . واللاشعور هو المجال الذي ينبغي أن نتوجه إليه عندما نريد أن نخلق في الإنسان اتجاهاً جديداً في طباعه وعاداته . والعادات نتيجة أفعال تواترت وتكررت . ولذلك فإن الإيحاء من أهم ما يلجأ إليه العالم النفسي في معالجة الإنسان . إنه السبيل إلى حياة اللاشعور التي تتحكم في مصير الإنسان . فالإيحاء يمكن اعتباره الأصل في كل ما يصيب

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الإنسان نفسياً بل عضوياً . فإنك إذا استقبلت شخصاً وقلت له إنك لتبدو في صحة رائعة ، فإن هذا الإيحاء يجعل لا شعوره يحس بنوع من الارتياح تتحسن به وظائفه العضوية .

فلو أننا أوحينا إلى أنفسنا دائماً أن أعضاءنا تقوم بوظائفها على خير وجه لحقق هذا الاعتقاد ظننا تحقيقاً يقرب هذه الأعضاء من الكمال . وهذا يلجأ إليه الطبيب النفسي في علاج الأمراض النفسية . بل يكون لها تأثير فعال في الأمراض العضوية . والإيحاء كما قد يكون سبيل السعادة قد يكون طريق الشقاء إذا كان الإيحاء نحو الألم . بل إن علماء النفس يحذرون الناس من الإيحاء السلبي . فلا يقول الإنسان : لم أعد نافذ الصبر . بل عليه أن يقول : إنني صابر . ولا يقول لم أعد مريضاً . بل يقول لست مريضا .

والإيحاء الذاتي قد يكون داخلياً . كأن يفكر الإنسان فيما يوحى به إليه ، وقد يكون مسموعاً كأن يقول للناس ما يجعله يوحي به إلى نفسه . وقد عرف بالمشاهدات أن الإيحاء عن طريق التحدث أفضل وأسرع . فقرر علم النفس أن الإيحاء الذاتي الإيجابي هو : أن يتحدث الإنسان عما فيه من نعم . على أنها سبيل المرء إلى السعادة . وهو ما ينادي به القرآن الكريم في آية شريفة صغيرة جمعت خير ما جاءت به أساليب التربية النفسية ، وهي الآية ١١ من سورة الضحى التي تقول :

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » .

والتحدث بنعمة الله هو إيحاء ذاتي للنفس بذكر ما في الإنسان من

نعم وما عليه من خير حال . فالمتحدث بنعمة الله لا يشكو مرضًا ، فهو إن مرض تحدث بما أفاء الله عليه من صحة في باقي أعضاء جسمه التي لم تمرض ، وإن أصيب بنقص في ماله تحدث بفضل الله عليه بما بقي له من مال ، وإن نزلت به نازلة حمد الله على نعم أخرى هو فيها . فهو متفائل ، إذا رأى النصف من قدحه ممتلئًا قال أعطاني الله نصف قدح ولا يقول كالمتشائم : فقدت نصف قدح .

وهذا المتفائل عصي على القلق بعيد عن هزات النفس وأمراضها ، وقد كتب العلماء والأطباء كثيرًا ، ونصحوا الناس بأن يكونوا متفائلين ، ولعل من أحدث ما كتب عن ذلك «كن متفائلا» للدكتور العالم النفساني فيكتور بوشيه ، فهو يقول : إن التفاؤل والمزاج الحسن والإحساس بلذة الحياة يجب أن تكون الرائد الدائم للانسان ، وقد يتساءل المرء كيف يكون الإنسان متفائلا وما حوله قد يكون على غير ما يرام ، فيجب أن يكون الإنسان على استعداد لأن يكشف عن الخير الذي تنطوي عليه أسوأ الحالات .

إن المتفائل يبدو كأنه يحمل معه النور والسعادة ، فهو يملك السرور والحماسة والرغبة في العمل الدائم ، وإن السعادة والأمل في ركاب المتفائل دائما . هذا ومن أحدث ما اكتشف في العلاقة بين التفاؤل والصحة : ما قرره الطب من أن مادة الكوليستيرول وهي مادة سامة تتكون في الجسم ، فتترسب في الشرايين وينتج عنها كل أمراض انسداد الشرايين والضغط والذبحة الصدرية والسكتة القلبية ، يساعد الإجهاد العقلي والتفكير المعتل على تكوينها في الجسم وينصح الأطباء المرضى المصابين بهذه المادة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أن يحاولوا جهد طاقتهم الترفيه عن أنفسهم ؛ بل يقررون أن التفاؤل والبشاشة لا تفيد هؤلاء المرضى فقط بل هما خير وقاية للانسان من الإصابة بالكوليستيرول .

ويذكر الدكتور فيكتور بوشيه أسطورة أسبانية تفيد : أن شابًا يئس من الحياة فاعتكف في دير منعزل وعاش كئيبًا حزينًا فبصره لا يقع إلّا على وجوه صارمة ، وأجسام ضامرة ، ونظرات ذابلة . وفي ذات ليلة اشتد به اليأس والسأم ، وما إن نام حتى رأى كأن هاتفًا يخاطبه ويقول : « لا تيأس ففي استطاعتك أن تجد السعادة في الأرض ، والنعيم في السماء ، سأعطيك الطلسم الذي يكفل لك السعادة ولكن يجب أن تعدني أن تتبع إرشاداتي بأمانة مدة ستة أشهر » . وقدم له الملاك مرآة وقال : « هذه المرآة تشبه الدنيا . فالدنيا لا تقدم لنا صورة سوى تلك التي تلقتها منا . إنك تشكو من أن الدنيا تبدي لك وجهًا كئيبًا . فهل أنت أبديت لها وجهًا مشرقًا بهيًا . ابتسم تبتسم لك الدنيا ، ويجب أن تحتفظ بتلك الابتسامة طوال النهار كي تشيعها فيما حولك ... لا تفكر فيما حرمتك الدنيا منه بل فكر فيما وهبته لك » . وأشرق وجه الراهب وطالع الناس دائمًا بوجه مشرق فتغيرت حياته وحياة من حوله إلى النعيم والسعادة .

فأين هذا من الآية الشريفة :

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » .

وليس المعنى من التحدث بنعمة الله أن يعدد الإنسان ما رزقه الله من مال أو زيادة في الثروة أو ما اشتراه من ثياب أو ما تناوله من غذاء ؛ فإن هذا ليس حديثًا بنعمة الله إنما هو فخروتيه . أما التحدث بنعمة الله

فهو أن يشكر الإنسان الله سبحانه على ما فيه . ولا يشكو للناس ما ينقصه .

هو على الدوام الحامد الشاكر لفضل الله . ومن التحدث بنعمة الله ظهور أثر هذه النعم على صاحبها ومن يعولهم ويحتاجون إليه من رعاية طبية أوعلمية ، وعدم الإمساك في الإنفاق عليهم ، وكذلك استخدام النعم فيما شرعت له ... وليست النعم هي المال ؛ فإن المقاييس الصحيحة كما يقول أحد كبار الأطباء : إنما توضح في عيادات الأطباء : حيث للناس هدف آخر غير المال . وليس الغني بالمال وكثرته ؛ فإن الله يقول لرسوله الكريم في سورة الضحى : (ووجدك عائلا فأغنى) . وقد تواتر أن الرسول لم يكن غنيًا في ماله يوما ... ولكنه كان غنيًا لأن قلبه كان طاهرًا ... ولسانه فصيحًا وصدره آمنا ... وضميره مرتاحًا ... وجسده صحيحًا ... وعقله راجحًا ... وربه راضيًا عنه ... وكان بالرغم من قلة ماله ... ومن جهاده ، وإيذاء الكفار له ... يتحدث بنعمة الله ... تنفيذًا لأمر الله ... فما أجدرنا ... بالعمل بما جاء به القرآن ... الذي يسبق العلم في ميادينه بمئات السنين .

والقرآن الذي هدف إلى نشر السعادة في جوانب الإنسان بتحدثه عن نعم الله التي وهبها له يعتبر كذلك أول كتاب حرص على دعوة الإنسان إلى السعادة ... تلك الدعوة التي أصبحت النداء الموحد لكل المصلحين والباحثين والعلماء والأطباء .

ويقول الدكتور وولتر مور : «إن أحد المحاضرين استهل حديثه بأن ثبت على السبّورة قطعة مربعة الشكل من الورق الأبيض ثم رسم في وسطها نقطة سوداء صغيرة ، فلما سأل الحاضرين ماذا يرون على السبورة ،

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أجاب أكبرهم : إننا نرى نقطة سوداء وهنا قال المحاضر... أليس فيكم من يرى هذا المربع الكبير الأبيض ؟ ! » . هذه هي الدعوة إلى السعادة ... رؤية الجانب الأبيض ... وإغفال النقطة الصغيرة السوداء ؟ ! وأعمق منها دعوة القرآن : (وأما بنعمة ربك فحدث) .

أما هدف القرآن من إسعاد الناس فقد أثبت العلم أن السعادة تفيض على الناس الصحة والخير والمال ، بل قرر الطب أخيرًا أن السعادة تشفي الأمراض فقد أعلن السير هينيخ أوجيلفي الجراح العالمي البريطاني أخيرًا أن السعادة يمكن أن تشفي الأمراض دون علاج . فالعقل المرتاح الصافي يستطيع القضاء على مسببات المرض والتدرن . لقد أمضى هذا الطبيب ٤٤ عامًا في عمله يبحث ويعالج السرطان ثم اهتدى إلى جملته الخالدة «السعيد لا يصيبه السرطان أبدًا » . إنه يقول : « إن هناك مركزًا معينًا في المخ يحفظ نمو جميع خلايا الجسم تحت إشراف دقيق بإفراز نوع معين من الهرمونات في الدم ، وإن هذا المركز هو الذي يرسل التعليمات إلى الخلايا في جميع أنحاء الجسم ، وقد ثبت أن هذه التعليمات يرسلها المركز إلى الجسم بوعي وحكمة إذا كان الذهن صافيًا مرتاحًا أما إذا كان الذهن مكدودًا أو غير سعيد فإن تعليماته إلى خلايا الجسم تكون مضطربة .. متسرعة ... غير حكيمة ... فيحدث الانقسام والتكاثر غير الطبيعي وغير المنظم مكونًا السرطان ...

ويقول الدكتور موريس جونيهيل مدير إدارة الصحة العقلية بمحافظة نيويورك : « إن السعيد عصيّ على الأمراض العقلية وفي حصانة منها » ...

ولعل ما كتب عن السعادة ، وما تسببه في الجسم والنفس والقدرة

على العمل والدقة في الإنتاج لا يحتاج إلى زيادة في الإيضاح . وذلك بعد ما بينته الآية الشريفة في معانيها الجليلة .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

« وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا »

« قرآن كريم »

يهب الله لعباده المال والأولاد ... ويهبهم مختلف النعم ... وقد عرف أن المال قد لا يفيد صاحبه ، وأن الأولاد قد لا يكونون أكثر من زينة وقتية ، بل قد ينقلب المال والأولاد إلى نقمة تحيل حياة الإنسان إلى جحيم ولذلك فإن القرآن الكريم عندما قرر في الآية ٤٦ من سورة الكهف :

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا » .

فقد قرر في آية أخرى أن من الأولاد عدوا فلنحذرهم وذلك بنص الآية ١٤ من سورة التغابن :

« يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » .

ولكن هناك هبة يهبها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء ويقرر جل شأنه أن فيها خيرًا كثيرًا وذلك بنص الآية ٢٦٩ من سورة البقرة :

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » .

وعرف أن الحكمة هي العقل الحصيف والخلق الحسن ... وقيل إن من أوتي الحكمة فإنه بسببها ينال في الدنيا المكانة المرموقة والمركز الممتاز ... ولكن البحث يثبت أنه ليس كل من وهبهم الله الحكمة في مراكز السلطان والجاه ... فهناك من أوتوا الحكمة ولكنهم عاشوا بمعزل عن الحياة العامة ... فقنعوا بحياتهم مع من أوجب الله عليهم العيش معهم ... فهل هؤلاء – وقد اعتزلوا المجتمع – لم يؤتوا خيرًا ... كلا ... لقد أوتوا خيرًا كثيرًا ... فإن من أوتي الحكمة – مهما كان عمله ... وأيا كان مقامه ... وعلى أي وضع في المجتمع شأنه – قد أوتي خيرًا كثيرًا ... لم نكن لنعرفه إلا عندما تقدم العلم ... وصدق الله العظيم .

ويقول الدكتور ألكسيس كاريل الطبيب العالمي المعروف : ليس يكفي المرء أن يحيا صحيح البدن ... ليستمتع بالحياة ... إن الصحة لا تنحصر في مقاومة البدن للأمراض ، ولا في قوة احتمال الجسم . ولا في القدرة على العمل فحسب ... بل تشمل ما هو أهم من ذلك : قوة الأخلاق ، وحصافة العقل ... أي الحكمة ...

إن الرجل في هذا العصر أحوج ما يكون إلى الصحة التامة ممن كان قبله ، فعليه أن يحتمل ما لم يسبق له مثيل : من ثورات النفس . والجلبة ، والضوضاء ، والمشكلات الاجتماعية الخطيرة التي لا تخلو منها بيئتنا ، واحتمال الهموم . وإجهاد الأعصاب في العمل والبيت ... بين زملاء العمل ... وجيران السكن ... بل مع من يعيشون معنا . لذلك لا يمكن أن ننظر إلى الصحة من نواحيها الفسيولوجية فقط إذ أن سلامة العقل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وقوة الاخلاق هما من النواحي التي لا غنى عنها للشخصية الإنسانية التامة النضج .

إن الجسم الإنساني ينشأ أصلا من خلية واحدة تنقسم إلى قسمين ، وهل قسم إلى اثنين ، وهكذا تتكاثر الخلية حتى يتم نمو الجسم ... ومهما بلغ الجسم فإن وحدته الأولى باقية ... وإن كافة أعضاء الجسم وإحساساته تكون وحدة منسجمة يربط بعضها ببعض شبكة هائلة من الأعصاب ، والعناصر الكيمائية التي تفرزها الغدد وتعرف باسم الهرمونات ... والصحة هي الاحتفاظ بهذه الوحدة ، وبما بين الأعضاء من اتساق في العلاقات . وكما تضار الصحة إذا سبب تصلب الشرايين ضعفًا في الدورة الدموية ، كذلك تضار إذا أثار الغضب أو الخوف أو الهم اضطرابًا في أعصاب الإنسان . وقد ثبت أن النشاط الإنساني عضوي وعقلي في وقت واحد وأن الجسم والنفس وحدة لا تتجزأ ...

وكما أن ورم المخ أو الغدة الدرقية تسبب انحرافًا في العقل والخلق ، فكذلك اضطراب العقل أو انحراف الخلق يؤدي إلى قرحة المعدة أو تصلب الشرايين وأمراض القلب والهضم .

إنه من المستحيل على الإنسان أن يستوعب أساليب العمل في الجسم الإنساني ، فهذا شيء محير ، إلا أن هناك قواعد أساسية يمكن معها المحافظة على الصحة ، وكلنا نعرف هذه القواعد الخاصة باتقاء المرض ، الذي أوصى به الطب القديم والحديث ، لكن هناك جديد كثير إذ يقول الطب حاليًا : يجب اتقاء السموم ... السموم جميعها ... التي تأتي من الخارج ... والأهم منها التي تأتي من الداخل ...

إن الإنسان مثلا يقتنع بالتجارب الفسيولوجية ؛ والظواهر الواضحة أن التدخين والخمر مضران بالصحة وقد أجمعت الآراء على ذلك . ولكن نجد المرء لا يستطيع أن يقلع عنها ، أويقلل منها ، إلا إذا كان الله قد وهبه الحكمة : العقل والشجاعة .

وبشرتنا الخارجية في حاجة إلى ما تلقاه من قسوة الريح والمطر والشمس والندى ، فقد صممت لتواجه ذلك ، وإن مجرد تبكير المرء ساعة في الصباح للسير في الخلاء سيرًا نشيطًا ، لخليق بأن يجعل بشرته ومظهره بل أعضاءه ودمه في غاية الصحة ... ولكن هذا الأمر يحتاج إلى الحكمة : الى العقل والمشيئة ...

وإننا لنعلم أن العناصر الكيمائية اللازمة لبناء الأنسجة والمحافظة على الجسم متوافرة في الأغذية الطبيعية كالخضر الطازجة والفاكهة والحبوب والألبان ، ولكن انصراف الناس إلى الفطائر والحلوى والتفنن في طبخ الخضر قد سبب للانسان ضعفًا يعالجه بالمستحضرات الطبية التي تحوي مواد الخضر والفاكهة ، ولكن بطريقة كيميائية وليست طبيعية ... وإن عودة الإنسان إلى الخضر والفاكهة الطازجة وإقلاعه عن الدسم والطبخ في حاجة إلى الحكمة : العقل ... والعزيمة ...

وإن شكوى الإنسان من أمراض الجهاز الهضمي ، وتأثير ذلك على القلب والرئتين والكلى والكبد ، يرجع إلى الإفراط في الأكل ، فنحن نأكل قبل أن نجوع ... ونأكل حتى نصاب بالامتلاء ... ونعلم ضرر ذلك يقينًا ... والواجب ألا نأكل حتى نجوع ... وإذا أكلنا فحسبنا بعض لقيمات تقيم الأود ... فهل يمكن أن نستجيب لذلك إلا إذا

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

اوتينا الحكمة : وهي العقل ... والإرادة ...

بل إن بيئتنا الاجتماعية ، وما هي عليه من صراع في سبيل العيش والتنافس في الرزق تسبب الخلافات والمشاحنات ، وإن المرء ليثور لأقل سبب ... ويحمل الهم من أول صدمة ... وتذهله الكارثة مهما كانت تافهة ... ونعلم ما يؤدي إليه ذلك من أمراض ... وأمراض خطيرة ... ويحتاج الأمر في ذلك إلى ضبط النفس عن الغضب ... وحفظ اللسان عن مجاراة السب والمشاحنة ... ولكن هل يمكن للمرء أن يفعل ذلك إلا إذا أوتي الحكمة : أي العقل ... وحسن الخلق ...

إن من الحكمة أن يتصرف الإنسان في دنياه على أنه إذا لم يكن ليرى الله فإن الله يراه ... وأن القول والفعل مسطر في لوحة الكون ... وإذا كانت الأديان قالت ذلك ، والكتب السماوية قررت هذا فإن العلم قد أثبته إثباتًا ليس في حاجة إلى زيادة ... فوجب إذًا ألا يتكلم الإنسان إلا ما لا يضره ... وألا يفعل إلا ما يبعده عن عقاب الله ...

إن من الحكمة ألا يأخذ الإنسان أكثر من حقه ... فلو غاب صاحب الحق فالله رقيب ... وإذا كان العدل الأرضي والقوانين الموضوعة تلزم المذنب أن يرد الشيء إلى صاحبه ثم ينال جزاء عمله ... فما بالنا بالعدل الإلهي ...

وهكذا ينطوي تحت ما أعد لمن أوتي الحكمة من خير في الدنيا والآخرة ... أنواع كثيرة كلها خير ... وكلها ثواب فطوبى لمن وهبه الله الحكمة ... فقد وهبه خيرًا كثيرًا في الدنيا وفي الآخرة ...

تجنب الزاوية الحادة

إن من أهم ما يوصي علماء الاجتماع به في سبيل خلق مجتمع متحاب الأفراد متعاون في مجتمع ، أن يبتعد الإنسان دائما عن الزاوية الحادة ... وما هذه الزاوية الحادة إلا الجدال ... والغضب ... وكل ما يثير النفس ... ويسبب غضب الناس .

يقول ديل كارنيجي رئيس معهد العلاقات الإنسانية بمدينة نيويورك ، وصاحب المؤلفات الناجحة في علوم النفس والاجتماع ، والتي تترجم إلى معظم لغات العالم : «إن النتيجة التي انتهيت إليها من دراساتي أن ثمة وسيلة واحدة يمكن معها إقامة الحجة وإنهاضها وهي أن نتجنب إقامتها بالجدل . ففي كل تسع مرات من عشر ينتهي الجدل بأن يكون كل من المتجادلين أشد اقتناعاً بأنه هو على حق . إنك إذا انتصرت على خصمك – فرضا – فإنك تخسر لأنك لن تكسب رضاه وطيب طويته» .

أما وليم وزير الخزانة الإمريكي فيقول في ذلك : «إن من المستحيل أن تقهر جاهلا بالحجة . فإن تجربتي تنبئني أنه يكاد يكون من المستحيل أن تحمل أي رجل بغض النظر عن علمه أو جهله على تغيير رأيه بالجدل» .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وفي ترجمة حياة فرانكلين بقلمه يقول : إنه حين كان شاباً كان كثير العثرات . وكان الذين يكرهونه أكثر ممن يحبونه . حتى انتحى به صديق وقال له : «إن آراءك كأنها سياط تجلد بها كل من يخالفك الرأي . ولذلك فإن إخوانك ليطيب لهم العيش حين تكون بعيداً عنهم . ليكونوا بعيدين عن جدلك» . ويقول فرانكلين : لقد اتخذتها قاعدة في حياتي أن أجتنب كل معارضة لآراء غيري ... إلا بالحسنى . وحرمت على نفسي أن أستعمل لفظاً يدل على رأي مقرر أو قاطع مثل : قطعا ، أو بلا شك أو على وجه التحقيق . وصرت أستعمل بدلا من ذلك : أحسب أو يبدو لي ... أو هكذا أرى في الوقت الحاضر ... أو لعل الأمر يكون غير ما أرى ... أو قد أكون مخطئاً إذا قلت هذا ... وإذا قال غيري قولا غير ما أراه واعتقدت أنه خطأ فإني أمنع نفسي من الاعتراض عليه فجأة . أو إظهار ما ينطوي عليه من خطأ . بل أوضح أن كل الآراء التي يقولها دائماً صحيحة ولكنها تختلف في الحالة الراهنة ... أما أن أجادله فقد تركت الجدل إلى غير رجعة ...

ومما يرويه كارنيجي : أنه كان في مأدبة كبيرة حين قص أحد الحاضرين قصة ذكر فيها حكمة على أنها من آيات الكتاب المقدس فانبرى له كارنيجي ليؤكد أن الحكمة لشكسبير وليست من الكتاب المقدس . وأصر الأول على أنها من الكتاب المقدس ، وأصر الأخير على رأيه . فاحتكموا إلى آخر عرف أنه قد درس شكسبير دراسة وافية ، وقد حفظ لذلك كل ما قاله ، وكان يجلس بجوار كارنيجي فما أشد ما كانت دهشته حينما سمع هذا الحكم يقول : «إنك مخطىء

يا كارنيجي ، إنها حكمة من الكتاب المقدس » ، ومس قدمه برجله من تحت المائدة برفق . وفي الطريق قال له : «لا شك أن الحكمة لشكسبير ولكنا كنا ضيوفا في مأدبة بهيجة فلماذا تحاول أن تثبت لرجل أنه مخطىء ؟ أتظن أن هذا يجعله يستلطفك ؟ لماذا لا تدعه وشأنه ؟ ثم إنه لم يطلب رأيك ... فلماذا تجادله؟ تجنب الزاوية الحادة ... دائمًا » .

وكم في حياة كل إنسان من مواقف أفسد الجدل بهجتها ... وأضاع متعتها ... بل كم فرق بين المتحابين ! وكم سبب تعكير صفو المجتمعين !

وبذلك فإن التربية الحديثة وعلم الاجتماع في أحدث النظريات توصي بعدم الجدال ، وألا يكون – إذا كان لا بد منه – إلا بالحسنى ...

وكل ما وصلت إليه هذه النظريات . وكل التوصيات التي تنادي بها هذه العلوم ، لا تصل إلى ما نادى به القرآن الكريم في الجدل في أكثر من سورة ... فالله سبحانه وتعالى يوصي رسوله الأمين في الآية ٦٨ من سورة الحج فيقول :

« وَإِنْ جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

وفي الآية ١٢٥ من سورة النحل :

« ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ومن وصايا القرآن الكريم كذلك ما جاء في الآية ٤٦ من سورة العنكبوت إذ يقول تعالى :

« وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

بل إن القرآن يقرر أن الجدال كالفسق إذ أمر الله بالامتناع عنه في الحج وذلك بنص الآية ١٩٧ من سورة البقرة :

« فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » .

ومن ضمن أوجه الزاوية الحادة الغضب فيقول أحد علماء النفس إننا حينما نمقت أعداءنا إنما نتيح لهم فرصة الغلبة علينا ... على منامنا وطعامنا وصحتنا وسعادتنا ... وإن أعداءنا يرقصون طربًا لو علموا كم يسببون لنا من القلق وكم يقتصون منا ... إن مقتنا لهم لا يؤذيهم هم ... وإن غضبنا دائمًا يؤذينا نحن ... ويحيل أيامنا ولياليا جحيما ....

وتقول أحد المنشورات التي توزعها إدارة البوليس في أمريكا : « لو سولت لقوم أنفسهم أن يسيئوا إليك فامح من نفسك ذكراهم ولا تحاول أن تقتص منهم ، فلو أنك اخترت القصاص لآذيت نفسك أكثر مما آذيتهم » .

وفي تقرير مقدم من سوار ثوب رئيس البوليس في إحدى مدن أمريكا : « منذ بضعة أعوام توفي وليم فالكابر البالغ من العمر ثمانية وستين

عامًا ، وهو صاحب مطعم ... وذلك لأنه اندفع إلى الغضب حين أبصر طاهيه يتناول القهوة في فنجانه الخاص. لقد أثارت هذه الفعلة غضب صاحب المطعم حتى إنه اختطف مسدسًا وراح يطارد الطاهي بعد أن احتدم بينهما النقاش ولكنه خر ميتًا بالسكتة القلبية وما زالت يده قابضة على المسدس وقد جاء في تقرير الطبيب الشرعي : إن الغضب هو الذي سبب وفاته الفجائية » .

ومن أروع حكم كونفشيوس : «لا يضيرك سب ولا ذم وإنما يضيرك أن تفكر فيهما » .

أما شوبنهور فيلسوف ألمانيا العظيم فيقول : «إذا كانت الحياة مغامرة عقيمة أليمة ففي الوسع ألا يجتلب أحد عداء أحد » .

وأديث كافل الممرضة الإنجليزية الشهيرة التي أطلق عليها الألمان الرصاص في ١٨ أكتوبر ١٩١٥ لأنها آوت في بيتها ببلجيكا عددًا من الجنود الإنجليز والفرنسيين وأطعمتهم وضمدت جراحهم ومهدت السبيل لفرارهم ، أقيم لها تمثال يزار حتى اليوم وتحيط حياتها هالة من القداسة ، وصورت السينما والكتب حياتها بمعظم اللغات وما ذلك إلا أنه عندما دخل القسيس الإنجليزي إلى السجن الحربي ليهيئها للموت ضربًا بالرصاص لم تنطق إلا بجملة واحدة راحت مضرب الأمثال : «إن الوطنية وحدها لا تكفي بل يجب أيضًا ألا نحمل حقدًا أو كراهية لمخلوق كائنًا من كان » لقد حفرت كلمتها هذه على الرخام والبرونز والجرانيت وعلقت في أكثر من مكان وأكثر من دولة .

ومن خير ما قيل ما قاله العلامة كلاوتس وارد : «بدلا من أن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

تمقت أعداءنا دعنا نشفق عليهم ونحمد الله على أنه سبحانه لم يخلقنا على غرارهم. وبدلا من أن نصب الاتهامات وألوان الانتقام على رؤوس أعدائنا دعنا نشملهم بالرحمة والشفقة والمعونة والعفو».

ولعل في هذا ما يقرب إلى الأذهان ما قصدت إليه الآية ١٣٤ من سورة آل عمران حيث قررت أن الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس من المحسنين إذ تقول الآية :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

ونعلم لماذا أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين بالعفو كما ورد في الآية ١٥٩ من سورة آل عمران التي تقول :

« فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » .

والآية ١٣ من سورة المائدة التي نصها :

« فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

ثم أمر الله عز وجل الذين آمنوا بالعفو والصفح بنص الآية ١٠٩ من سورة البقرة :

« فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ » .

وهكذا يظهر في ضوء التقدم الفكري مدى ما هدفت إليه هذه الآيات الشريفة التي سبقت أصول التربية الحديثة وعلم الاجتماع عندما دعت إلى عدم الغضب والعفو عن الناس .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ولا تسرفوا

عندما نزلت الآية ٣١ من سورة الأعراف والتي فيها :

« وَكلوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفوا » .

أسلم كثير ممن تدبروا ما فيها ؛ فقد جمعت كما قال أحد كبار حكماء الجاهلية الذي أسلم عندما سمعها ، «خلاصة طب الأولين وحكمة علم الآخرين » ... ويميل البعض في التفسير إلى الاعتقاد بأن النهي عن الإسراف في هذه الآية إنما ينصب على الأكل والشرب ... بينما يعتقد البعض الآخر ، أن النهي لم يقصد الإسراف في الأكل والشرب فقط ، حيث لم يذكر لفظ «فيهما» ، بعد الإسراف أو «فيها» إنما قصد الإسراف في كل شيْ بدليل أن تكملة الآية هي :

« إِنَّهُ لَا يحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » .

وسواء أكان القصد في هذه الآية ، النهي عن الإسراف في الأكل والشرب فقط ، أم في كل شيء في حياة الإنسان ، فإن الآيات في القرآن لتتتابع لتثبت أن القرآن الكريم هو أول ما نبه الأذهان إلى ضرورة

الاعتدال في كل شيء . وعدم الإسراف في لون من ألوان الحياة ... ففي الإنفاق تقول الآية ٦٧ من سورة الفرقان :

« وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا » .

وجعل ذلك من صفات عباد الرحمن . وفي الزكاة تقول الآية ١٤١ في سورة الأنعام :

« وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تسْرِفوا » .

وحتى في الدين تقول الآية ٧٧ من سورة المائدة :

« قلْ يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لَا تَغْلوا فِي دِينِكمْ غَيْرَ ٱلْحَقّ » .

وتكررت الآيات التي تقرر أن المسرفين بعيدين عن الهداية . ففي سورة غافر نجد أن الآية ٢٨ تقول :

« إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » .

والآية ٣٤ :

« كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ » .

وأمرت الآية ١٥١ من سورة الشعراء بعدم طاعة المسرفين إذ تقول :

« وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ » .

ووعد الله بهلاك وتعذيب المسرفين كنص الآية ٩ من سورة الأنبياء :

http://www.al-maktabeh.com

« ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ » .

http://www.al-maktabeh.com

والآيتين ٣٣ و٣٤ من سورة الذاريات :

« لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ » .

لقد وقف علماء النفس جانباً كبيراً من وقتهم خلال السنوات الأخيرة لدراسة الناس وأساليبهم في الحياة بغية الوصول إلى ما يسبب للناس راحة بالهم ، ويجعلهم يستمتعون بالحياة ، وكانت أهم وصاياهم : «لا تغلوا في عمل شيء » ... وذلك بعد أن وصل الطب إلى أن دستور الحكمة ورأس العلاج هو عدم الإسراف في الأكل والشرب ، وقررت أبحاث الطب العلاجي والوقائي أن أعظم قاعدة لحفظ الصحة هي العمل بالآية الشريفة التي تنص على عدم الإسراف في الأكل والشرب إذ قد ثبت طبياً أن الشراهة تفتك بالمعدة وتحطم الكبد وتفني القلب وتسبب تصلب الشرايين والذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم والبول السكري ، وأنه لا وقاية من ذلك ولا علاج لها إذا أُصيب بها الإنسان إلا الحد من شهوة الأكل ... وعدم الإسراف في الأكل والشرب ...

ويقول علم النفس إن الإسراف هو الحماسة غير المتزنة التي تصبح نوعاً من الهوس فالإسراف في أي شيء إنما هو من قبيل الهوس أو الجنون . فيجب مراجعة النفس فيما نحن مقدمون عليه فلا تغلو فيه مهما كان . وينصح أحد علماء النفس نصيحة غالية إذ يقول : لماذا

مكتبة المهتدين للاستطلاع على مقارنة الأديان

لا نتمثل بالطبيعة ، فكل ما خلقه الله نجده معتدلًا في غير إسراف... فالليل يعقب النهار... وإذا كان النهار خلق للعمل فالليل خلق للراحة... وهذه حكمة يجب أن نتمثل بها. فلا بد من راحة بعد التعب... فهذه الجفون... والرموش... إنها تغفو بالليل... بل ترتاح في النهار أيضاً...

أما الدكتور والتر كانون فيقول : « يعتقد معظم الناس أن القلب دائب العمل بلا توقف والحقيقة غير هذا. فإنه عدو الإسراف... وثمة فترة استراحة بين كل نبضة وأخرى... فالقلب إذ ينبض بمعدل سبعين نبضة في الدقيقة وهو المعدل العادي فإنما يشتغل في الواقع تسع ساعات فقط في كل أربع وعشرين ساعة ومجموع فترات الراحة التي يستريحها القلب تبلغ خمس عشرة ساعة في اليوم موزعة بين كل نبضة وأخرى » .

وليس الإسراف في التفاؤل كذلك مطلوباً... أو في الراحة... أو في الحد من الشهوة مهما كانت... فقد قرر علم الوراثة... أن الذكر إذا أسرف في الابتعاد عن الأنثى وأن الأنثى إذا ابتعدت عن الذكر... لم ينتج ذلك إلا شراً... والتجارب التي أجريت على ذكور الحيوانات فأزيلت أعضاؤها التناسلية ، كانت نتيجتها أن تبلدت حياتها وتغيرت معالمها فلا هي ذكور... ولم تصبح كالإناث... وكذلك الإناث... ومن اليسير ملاحظة المرأة في سن اليأس وكيف تضطرب أعصابها وتتغير نظرتها إلى الحياة... أما الإسراف في الشهوة فضررها ليس في حاجة إلى إيضاح...

والإسراف في التفاؤل يفقد الإنسان استعداده لمواجهة الحياة.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وإسرافه في التشاؤم يحطم معنوياته... وكذلك الإسراف في العمل يقلل من فرص حسن الإنتاج، أما الإسراف في الكسل فيعدم الإنتاج...

وأفضل ما قاله الطب في ذلك قول الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل إذ يقول: «علينا أن نقي أنفسنا شر الإسراف في أي شيء، كل شيء. حتى في ارتياد السينما والاستماع إلى الراديو... إن الإنسان يميل بطبيعته إلى الإسراف في شهواته كالخمر والأكل والسرعة وغيرها؛ وهذا الإسراف يفضي إلى الانحلال، فعليه أن يروض نفسه على الاتزان وعدم الإسراف في أي شيء حتى في النوم... إن رجل العصر إما مفرط في النوم أو مسرف في اليقظة وهذا ضار به... وخير له أن يعود نفسه أن يظل يقظاً حتى تدركه الرغبة في النوم فينام»...

إن أطباء علم النفس يطالبون البشر بألا يسرفوا في معنوياتهم... وأطباء الأمراض الباطنية ينصحون بألا نسرف في الغذاء والشراب... وأطباء العيون يقررون أن الإسراف في استعمال العيون ضار بها، وأطباء الجلد يقررون أن تجاعيد الوجه سببها الإفراط في الجلوس تحت أشعة الشمس والإسراف في السهر وتعاطي المنبهات والخمور والإسراف في استعمال المواد الكيماوية ومواد الزينة...

وهكذا يقرر العلم الحديث أن الإسراف في أي شيء منهيّ عنه؛ وقد سبقه القرآن الكريم إلى ما قرر؛ وهكذا نعرف مدى العمق الذي هدف إليه الدعاء في الآية ١٤٧ من سورة آل عمران، هذا الدعاء الذي يجب أن نردده مع القائلين:

« رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

سحر الألوان

يقول جرانت آلن وهو من كبار علماء النفس : « ليس في طبيعة إحساسنا عامل ما يتيح لنا قوة أعظم أو أكثر تنوعاً مما يتيحه الإحساس بالألوان » .

أما هوارد كتشام فيقول : « إن تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور ؛ وقد أجريت تجارب متعددة اتصلت عشرات الأعوام ، على ما للألوان من تأثير في الإنسان ، وسواء أدركنا أم لم ندرك ، فإن اللون يؤثر في إقدامنا أو إحجامنا ، ويشعرنا بالحرارة أو البرد وبالسرور والكآبة ، بل يؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته إلى الحياة » .

وقد دامت الأبحاث والتجارب عشرات الأعوام على اللون وتأثيره وتكوينه وأمكن بمزج الألوان بعضها ببعض استخراج بضع مئات الألوف من الألوان وذلك بوضع اسطوانتين أو أكثر من الورق الملون بعضها فوق بعض في آلة تدور شبيهة بآلة الجراموفون وفي كل من هذه الأسطوانات شق من مركز دائرتها إلى محيطها وبذلك يمكن تغيير وضع الأجزاء الظاهرة منها ، وحين تدور الأسطوانة تندمج الألوان . وقد أمكن بذلك الوصول إلى ٣٠٠,٠٠٠ لون بعد أن كان

علم الإنسان لا يتعدى في الألوان أكثر من سبعة. هي ألوان قوس قزح أو تلك التي تكون اللون الأبيض.

ودلت التجارب التي أجراها علماء النفس على أن تأثير الألوان يصل إلى أعماق الإنسان. وأصبحت المستشفيات تستدعي الإخصائيين لاقتراح الألوان التي تلائم جدران غرفها لتساعد في شفاء المرضى. ولم يعد غريباً أن تتصل ربة البيت في الدول المختلفة بالإخصائيين لتسأل عن لون الورد الذي تزين به منزلها بمناسبة خاصة، أو لون مفارش المائدة الذي يتناسب والحديث المتوقع أن يكون. وكم من اتفاقات أُبرمت في يسر ونجاح، وكان العامل الأساسي هو الحالة النفسية التي خلقها اللون الغالب في مكان الاجتماع.

وبذلك أصبح علم الألوان له أصول واتجاهات تقوم على أُسس من الدراسة والبحث عن تأثير اللون في الإنسان. ولذلك عمد علماء النبات إلى استنبات مجموعات عديدة ذات ألوان مختلفة من صنف الزهرة الواحدة حتى يمكن استخدام اللون الملائم لكل مناسبة. أما في الصناعة. فإن اللون هو أهم ركن أصبح يحظى بالرعاية كلها. فالمصانع الكيماوية أصبح إنتاج الألوان فيها هو الميدان الذي توجه إليه كل الاهتمام . وصناعة الغزل والنسج تعتمد على الألوان في رواج إنتاجها. وقد تنبه الإنسان في العصر الحديث إلى أهمية اللون في ملبسه. ومناسبة هذا اللون لكل حالة بل أصبح يعرف تأثير اللون في نفسه. إذ قررت الدراسة والأبحاث النفسية أن اللون الأصفر مثلاً يبعث النشاط في الجهاز العصبي. أما اللون الأرجواني فيميل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بالأعصاب إلى الاستقرار... وبينما كل لون يحتوي على الأزرق يشعر الإنسان بالبرد فإن اللون الذي به الأحمر يشعر بالدفء.

وقد حدث أخيراً أن صاحب أحد مصانع الألوان أجرى تجربة بأن أعاد تلوين حجرة العاملات باللون الأزرق الخفيف فبدأت النساء يشكون من رطوبة الغرفة وشدة البرد ثم اضطررن إلى لبس الملابس الثقيلة، بينما كانت حرارة الغرفة مضبوطة ضبطاً آلياً للرطوبة والحرارة قبل وبعد تلوين الغرفة.

ووصل العلماء إلى قرار قاطع بأن اللون الوحيد الذي يجلب السرور إلى داخل النفس والانتعاش في الفكر ويثير في الإنسان علامات البهجة وحب الحياة هو اللون الأخضر.

ومن أروع ما يدل على تأثير اللون الأخضر، تلك التجربة التي أجرتها مدينة لندن على جسر بلاك فرايار الذي يعرف بجسر الانتحار إذ تقع أغلب حالات الانتحار من فوقه، فغيرت لونه الأغبر القاتم إلى اللون الأخضر فقلّت حوادث الانتحار فوراً إلى الثلث، ولعلها قد انعدمت نهائياً الآن أو في طريقها إلى العدم.

هذا هو تأثير اللون الأخضر في الإنسان... وهذا هو سبب خلق الله النباتات والأشجار بلون أخضر. أو ليس ما وصلت إليه الأبحاث في العصر الحديث هو ما نبه القرآن الكريم الأذهان إليه حينما تقرر الآية ٧٦ من سورة الرحمن عن أصحاب الجنة قائلة:

« مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ » .

وتقول الآية ٢١ من سورة الإنسان إن :

« عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » .

وكذلك الآية ٣١ من سورة الكهف تقرر أن من آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة :

« وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ » .

وكذلك الآية المشابهة قررت أن اللون الأخضر هو علامة المتعة والسعادة والبهجة والسرور . فهو من الألوان التي تكررت في وصف ما في الجنة دائماً .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

البروتين النباتي والحيواني

تقول الآية ٦١ من سورة البقرة :

« وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .

وهي تقرر بذلك أن البقول والعدس والبصل أدنى وأقل خيراً مما كان يأكله قوم موسى وهو المن والسلوى ... وهما نوع من الحلوى عسلية وطير يرجح أن يكون المعروف بالسمان ... ولم يعرف مقدار ما في هذه الآية من علم إلا بعد أن تقدمت علوم التغذية والصحة الغذائية ، فلم يصل العلم إلا أخيراً إلى أن الأفضلية ليست في مقدار ما تحويه المواد الغذائية بل في نوع ما تحويه من مكونات التغذية . وقد أصدرت لجنة الأبحاث بإنجلترا تقريراً ضمنته حقائق هامة وصلت إليها أهمها أن قيمة المواد الزلالية تختلف في نوعها وفي المقدار الذي

يمنع المواد الزلالية المكونة للأنسجة من أن تحترق... وأن البقول يضر الإكثار منها... حتى إن التقرير نصح بعدم إعطائها للأطفال مطلقاً، وبالقلة منها للكبار. ولم يعرف إلا أخيراً أن المواد البروتينية، أو الزلالية، والتي تُعتبر أهم مكونات البقول ولو أنها مصدر طاقة لتوليد الحرارة والنشاط إلا أنها مرهقة لأجهزة الجسم في تحويلها إلى هذه الطاقة ولهذا ينصح الطب الحديث بالاعتماد على النشويات كمصدر للطاقة وأن البروتينات أو المواد الزلالية الموجودة في الحيوان تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلًا كبيراً... وتعتبر الأنواع التي ذكرها القرآن أكثر المواد احتواء على المواد البروتينية أو الزلالية ففي كل مائة جرام من الفاصوليا والبسلة واللوبيا الجافة ٢١ جراماً من هذه المواد الزلالية، وفي العدس ٢٠ جم وفي البيض ١٠ وفي الخبز ٦. ومن أعجب ما يلاحظ أن الطير وهو الذي كان يأكله القوم يحتوي نفس النسبة تماماً من المواد الزلالية أي ٢١ جراماً في كل مائة جرام ولكنها من نوع آخر غير نوع المواد الزلالية التي في البقول فالقرآن قد قارن بين الطير والبقول وهما متساويان في نسبة المواد الزلالية وقرر حقيقة علمية لم تظهر إلا أخيراً وهي أن البروتين الحيواني خير من البروتين النباتي الذي هو أدنى.

ويقول المرحوم الأستاذ الدكتور حسين عارف في كتابه «علم الصناعات الزراعية»: إن البروتينات هي مركبات عضوية وأزوتية وإنها الصورة الوحيدة التي يوجد عليها الأزوت في حالة تتناسب وعملية التمثيل الحيوي، وتتحلل عند الهضم إلى أحماض أمينية عددها اثنان وعشرون تمتص بالدم، وتؤدي قلة البروتين في التغذية اليومية إلى

http://al-maktabeh.com

حالات مرضية متنوعة أهمها الهزال والنحافة والأنيميا. ويتابع الدكتور حسين عارف القول عن البروتينات فيقرر بأن البروتينات تنقسم تبعاً لمصدرها إلى قسمين: أحدهما حيواني ومثاله اللحوم والطيور وتصلح تماماً للتمثيل الحيوي، والثاني نباتي: ومثاله القمح والبقول ولا تصلح تماماً لعملية التمثيل الحيوي.

وأثبت العلم الحديث أن تناول كميات كبيرة من البقول يجعل من الصعب على الجسم هضم قشورها فلا تمتص وتسبب لذلك نوعاً من التسمم النشوي، ومن علاماته القشف وسوء الدورة الدموية وآلام الروماتزم وتضخم اللسان وشرشرة حوافيه وتسوس الأسنان. كما تسبب أنواعاً أخرى من التسمم. وأثبتت الأبحاث أن هذه المواد تقل في مقدار الأسعار التي يعطيها تناولها. والسعر هو مقدار الحرارة الذي يرفع درجة الحرارة كيلوجرام من الماء درجة واحدة سنتيجراد، ومنها نعرف مقدار الحرارة التي يحصل عليها الجسم باحتراق المواد الغذائية. وبينما نرى أن الأسعار التي يعطيها جرام من الزيت هو ٨,٨ والمسلي ٨,٨ والبلح ٣,٤ والحلاوة ٤,٨ والأرز ٣,٥ نرى أن الفول ١,٢ والبصل ٠.١٢ واذا كان يلزم للإنسان حتى يعيش ثلاثة آلاف سعر يومياً فإنه ليعيش على البصل يلزمه أن يأكل أكثر من عشرين أقة من البصل يومياً! هذا ومما واتتنا به الأخبار الطبية من الخارج أخيراً ما أثبته الطب في شيكاجو من أن كثرة تعاطي البصل، حتى ولو في الغذاء، يسبب فقر الدم، وقد جرب الأطباء هناك على أنفسهم وعلى بعض طلبة كلية الطب هذه النظرية الحديثة فأضافوا إلى غذائهم

اليومي رطلين من البصل فلم تمض أكثر من خمسة أيام حتى ظهرت أعراض الأنيميا وقل عدد كرات الدم الحمراء حوالي المليون ونصف المليون في أسبوع... ويدرس هؤلاء الأطباء الآن إمكان استصدار قرارات تحرم الطيارين وأمثالهم ممن يقومون بعمل جسماني مجهد من أكل البصل نهائيا... وقد شاعت هذه الأبحاث في غير شيكاجو من دول العالم.

وطلبت مجلة الدكتور المصرية في عام ١٩٥١ من معهد الأبحاث وقسم التغذية بوزارة الصحة والأطباء المصريين أن يدرسوا ما وصل إليه أطباء شيكاجو بالنسبة إلى البصل إذ المعروف عن عمال وأهالي الريف في مصر كثرة تعاطيهم للبصل في غذائهم والملاحظ كذلك كثرة فقر الدم وانتشاره بينهم بحيث لا يخلو منه فرد منهم.

وهذا ما وصل إليه العلم بالنسبة للغذاء وما زال يجد في البحث... قال به القرآن الكريم من عشرات المئات من السنين...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الغثاء الأحوى

تنص الآيات الأولى من سورة الأعلى أن الله سبحانه وتعالى أخرج المرعى وبعد ذلك جعله صلباً أسود إذ تقول السورة :

« سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ . وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ . فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ » .

والغثاء هو اليابس الصلب والأحوى هو اللون الأخضر المائل إلى السواد. وقد فصلت هذه الآيات حقبة من التاريخ الجيولوجي قبل خلق الإنسان... وقد أوضح العلم دقة ما جاء به القرآن... فقد دلت الأبحاث التي قام بها العلماء الجيولوجيون والطبيعيون الذين درسوا تكوين الأرض والأدوار التي مرت بهذا التكوين على أنه لما انفصلت هذه الكتلة الكبيرة الملتهبة من الشمس جعلت تدور في الفضاء أجيالًا متعددة ؛ وتبعاً لذلك أخذت تنخفض حرارتها تدريجاً . وبعد أن كانت كتلة من الغاز الملتهب أصبحت كرة من النار السائلة تغلي وتضطرم ثم برد الغلاف الخارجي ليتجمد نوعاً . أما البخار الملتهب الدائم التصاعد

من الأرض – وهي تبرد لمدة أجيال واجيال – فإنه بملامسته للفضاء المحيط بالأرض وهو بارد نوعاً ما... والفضاء البعيد وهو بارد أكثر تحول إلى سحب كثيفة... ثم إلى سيول مدمرة تصيب هذه الكتلة التي استدارت نوعاً ما... والتي يحوطها السحب... فلا ترى نوراً ولا يصل إليها شعاع... وأغرقت السيول العالم في الماء... وكانت هذه السيول كفيلة بأن تخلص الأرض من السحب الكثيفة التي كانت تغلفها... وبدأت أشعة مهتزة ضئيلة من الشمس تنتشر على الوجه المقابل للشمس... ثم ازداد النهار وضوحاً... وبدأت الظواهر الطبيعية المعروفة تنتاب الأرض بشكل مخيف عدة آلاف من السنين فالعواصف القاتلة تعصف فوق المياه التي تغطي سطح الأرض كلها، والزلازل المدمرة، والانفجارات البركانية المروعة، كل هذه الظواهر أدت إلى ارتفاع القشرة الأرضية عن سطح البحر في بعض الجهات فتكونت القارات العظيمة... وظهرت سلاسل الجبال... وهبّت رياح هوجاء مئات السنين دفعت بالأمواج إلى الأرض فنحتت السواحل وشكلتها وتجمعت مياه الأمطار الغزيرة في الوديان وجرت لتكون الأنهار... وهكذا... خلق الله الأرض فسواها... وقدر اليابس... والماء... والجبال والمحيطات... والبحار... والأنهار... إلى أن أصبحت الدنيا... كما عهدناها... وهذا الخلق... وهذا التقدير... أحد أوجه تفسير الآيات الأولى... في خلق الله للأرض.

ويقول العالم جرترود هارتمان إن النباتات كانت أسبق ما ظهر من صور الحياة على الأرض اليابسة، لأن الحيوانات لم تكن لتستطيع

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الحياة عليها بدونها ، وكانت الأرض لا تزال في حالة مضطربة عنيفة... فمواسم المطر الغزير تتلوها مواسم جفاف طويلة... وظهرت النباتات لأول مرة في الأرض... دون أن يزرعها الإنسان بل دون أن يكون لكائن دخل فيها... وتنوعت صور الحياة النباتية ، ولما كان المناخ لا يزال حاراً... والهواء مشبعاً تماماً بالبخار... ودام ذلك ملايين السنين وهذا الجو يساعد النبات على سرعة النمو ، وكثافته... فتغطت الأرض ببساط أخضر من النبات... وأشجار متكاثفة... وغطت هذه النباتات جزءاً كبيراً من سطح الأرض...

وكانت العواصف الرهيبة تهب على العالم في هذه الأثناء فعصفت بالأشجار واقتلعت النباتات وسقطت على الأرض دون أن يستعملها كائن. فالحياة الحيوانية... لم تدب بعد على الأرض... ولبثت هذه الكتل الضخمة من الأشجار والنباتات على الأرض يكاد الماء يغطيها وتحللت على مر السنين لتكون تربة نباتية خصبة تنمو بها أشجار جديدة... تسقط ليصيبها ما أصاب سابقاتها... وتكرر ذلك آلاف السنين... وتوالت القرون وازدادت كثافة هذه النباتات المتحللة وازداد سمك ما يعلوها من الطين وازداد ثقل هذه الطبقة عليها فأحالها كتلة صلبة وازداد لونها قتاماً حتى أصبحت مادة شبه صخرية سوداء... لبثت مطمورة في باطن الأرض سنين عديدة حتى اكتشفها الإنسان واستعملها وقوداً سماه فحماً... أليس ذلك ما يقول به القرآن... إذ أن الله هو الذي أخرج هذا المرعى... ثم جعله غثاء أحوى؟...

وبدراسة العلماء لمناطق الفحم وتحليلها والطبقات التي يوجد الفحم

فيها وبفحص هذه المناطق فحصاً ميكروسكوبياً وبأجهزة الإشعاعات اتضح أن هذه المراعي التي كونت الفحم نبتت من حوالي ٢٥٠ مليون سنة... وأن النمو النباتي الذي لم يستعمله أي كائن حي، وانطمر في باطن الأرض، استمر حوالي ٣٥ مليون سنة. أما ضخامة كمية هذه النباتات التي استمرت في باطن الأرض هذه الملايين من السنين... فتظهر واضحة عندما نعرف أن العلماء قد قرروا أن المخزون من الفحم في باطن الأرض حالياً يقدر بحوالي ٨ بليون طن تكفي حاجة العالم لمدة أكثر من أربعة آلاف سنة وذلك بفرض استمرار نسبة الاستهلاك للفحم كما هي الآن والتي تقدر بألفي مليون طن في السنة...

أهذا هو الغثاء الأحوى... الذي قال به القرآن وأوضح تكوينه... بل أوضح فترة من تكوين الأرض وما تم فيها... لم يصل إليها العلم... إلّا قريبًا... وجاء محققًا معجزة أخرى للقرآن الكريم.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

غلاف الأرض المائي

قص القرآن الكريم في سورة النازعات قصة خلق الأرض وما عليها فالآية ٣٠ تقرر أن الأرض بعد أن وضح فيها الليل والنهار أخذت شكلها الذي يقرب من البيضة.

« وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰهَا » .

وتقرر الآية ٣١ أن الماء وجد بعد ذلك ثم وجدت المراعي إذ تقول الآية :

أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعٰهَا » .

ثم بعد ذلك وجدت الجبال إذ نص الآية ٣٢ هو :

« وَالْجِبَالَ أَرْسٰهَا » .

ولقد ظلت أبحاث العلماء سنوات عديدة تهتم بقصة خلق الأرض إلى أن وصل العلم إلى ما قال به القرآن / فقد ثبت أن الأرض بردت بعد انفصالها عن الشمس ، وبدأ بخار الماء الذي حولها يتكثف ويتساقط

عليها في شكل أمطار وسيول جارفة... أما المطر فأخرج المرعى، وأما السيول المدمرة فكونت الوديان التي ارتفعت على جوانبها الجبال. وأذابت الأحجار فكونت التلال.

وبعيد أن قدّر الله الماء اللازم للأرض بما يحفظ لمن عليها وما فيها الحياة التي حددها سبحانه أنزله وأسكنه الأرض التي تضم كل الماء الذي أنزله الله يوم أن قدّر ماء هذا الكوكب الذي نعيش فيه. وقد كان يظن قديماً أن الماء موجود في الينابيع والأنهار والنباتات أما المواد الصلبة فلا يمكن أن يكون بها ماء. ولكن أثبتت التحاليل أن في كل شيء نسبة ما من الرطوبة تتراوح بين ٩٥ في المائة كما في الخضر والنباتات وتتناقص إلى أجزاء من المائة كما في المواد الصلبة وهكذا أثبت العلم قول القرآن عن إسكان الماء في الأرض كما جاء في الآية ١٨ من سورة المؤمنون إذ تقول:

« وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِي الْأَرْضِ » .

وعن وجود الماء في كل شيء حتىٰ في الأحجار تقول الآية ٧٤ من سورة البقرة:

« وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وبدورة التبخير بالشمس والتكثيف في السحب الباردة نظم الله سبحانه للانسان والحيوان والنبات استعمالاته للماء وحاجاته إليه. مياه البحار والمحيطات مالحة فإذا شربها الحي أضرته، وإذا خلت من الملح فسدت وتعطنت لذلك فإن الشمس تبخرها فتصعد إلى أعلى كبخار يتكثف ويتساقط كمياه عذبة تجري بها الأنهار حيث يستعملها الأحياء. وهذه السحب التي ينزل منها الماء متراكبة ترتفع ارتفاعات تجعل درجة حرارة قاعدة السحاب التي نراها فيما لو نظرنا إلى السماء تختلف عن درجة قمته العالية. ولما كانت الحرارة تنخفض كلما ارتفعنا، كان السحاب الذي تتجمع قطراته أكثر كلما ارتفع حتى يأخذ شكل الجبل تماماً قاعدته هي التي تواجه الأرض وقمته إلى أعلى وهذا ما يراه راكب الطائرة فيما لو ارتفع فوق السحاب. وقد سبق القرآن العلم إلى تقرير ذلك في الآية ٤٣ من سورة النور إذ تقول:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ ».

أما سبب نزول هذا المطر إلى الأرض فيرجع إلى أن جاذبية الأرض له أقوى من سرعة انطلاق جزيئات الماء للخروج من نطاق الجاذبية. وقد وجد أن السرعة اللازمة حتى ينطلق بخار الماء عن جاذبية الأرض

هي ١١,٢ كيلومتراً في الثانية اما في حالة بخار الماء الذي حول الزهرة وهي تلي الأرض في الصغر ، فإن السرعة اللازمة ليتغلب بخار الماء على جاذبية الزهرة ١٠,٧ كيلومترات في الثانية أي أقل من السرعة اللازمة للتغلب على جاذبية الأرض ، وعلى هذا فإن بخار الماء في الجو المحيط بالزهرة أقل من الموجود في الأرض . وكوكب المريخ الذي يلي الزهرة في الصغر تكون السرعة اللازمة هي ٥ كيلومترات في الثانية ، ولذلك فإن غلاف المريخ أقل من الزهرة والأرض وأما عطارد فلصغرها إلى ما يقرب من ثلث الأرض كانت السرعة اللازمة هي ٣,٥ كيلومترات في الثانية ، وهذه السرعة جعلت جميع الغازات التي تكون بخار الماء تهرب من جوه إلى الخارج وأصبح لا وجود للغلاف المائي في عطارد وبديهي في كل الكواكب التي تصغره. إذاً فإن من الممكن ، لو زادت سرعة انطلاق جزيئات الماء عن فعل الجاذبية الأرضية ، أن يذهب الماء عن الأرض وهذا ما أشارت إليه الآية ١٨ من سورة المؤمنون التي تقول :

« وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَـٰدِرُونَ » .

فقد أوضحت هذه النظريات والدقائق العلمية الحديثة إمكان هروب الماء من جو الأرض في معرض التحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

اهتزاز الأرض وزيادة حجمها بالماء

لم يكن يُعرف إلا في السنين القريبة الماضية أن الأرض مهما اختلفت أنواعها فلها مسام يتخللها الهواء، بل إن اختلاف حجم المسام وعددها هو السبب الرئيسي في اختلاف نوع الأرض. فالأرض الطينية السوداء تحبس الماء لأن مسامها ضيقة، بينما الأرض الرملية ذات المسام الواسعة لا تحفظ الماء إذ ينصرف منها بسرعة. والأرض الصفراء وسط بين هذين النوعين من الأرض.

ولم يُعرف إلا أخيراً أن هذه المسام بها هواء وأن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء أمامه ويحل محله. وبتقدم علوم الكيمياء والطبيعة في السنين القليلة الماضية عُرف أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف وذلك بعد أن أُجريت تجارب عديدة، وعُرف أنه إذا وُضعت قطعة جافة من الطين في مخبار وعرف حجمها فإذا ابتلت بالماء زاد حجمها. وقد عُرف أنه عند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزيئات الطين بقوة دفع الماء في المسام فكأن الأرض إذا ما نزل عليها الماء تحركت وزادت في الحجم وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء كما أمكن معرفة الزيادة في حجمها...

هذه الحقائق العلمية الثابتة التي هي وليدة التقدم العلمي في العصر الحديث قال بها القرآن الكريم في الآية الخامسة من سورة الحج التي نصها :

« وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » .

والاهتزاز هو الحركة وربت أي زادت في الحجم . وقد فسرت هذه الحقائق ما يشاهد في بعض المباني الحديثة من انهيارات أو شروخ بعد سقوط الأمطار أو ابتلال البناء بالماء .

وتهتز الأرض كذلك وتربو بعد أن ينزل الماء فتنبت الزرع . فالنبات يبدأ بنمو جذوره ، وهذه الجذور تتعمق في الأرض إلى عمق يختلف باختلاف نوع النباتات ، وقد عرف أن شجرة القطن مثلًا يتعمق جذرها إلى مترين . والجذور تحتوي على شعيرات جذرية كثيرة العدد فارعة الطول تتشابك وتتغلغل في التربة وتنتشر طولًا وعرضاً وعمقاً بدرجة يمكن القول معها بأنه لا توجد في أي منطقة زراعية قطعة من التربة ليست بها شعيرات جذرية مهما كان بعد النبات عن بعضه ، ويكفي لإثبات ذلك أن تعلم أنه يوجد في السنتيمتر المربع من جدر الذرة ما يقرب من ٤٢٠٠ شعيرة جذرية تنتشر إلى كل اتجاه .

هذه الشعيرات والجذور تمتص القليل من المعادن والماء من الأرض ويصل إليها أيضاً عن طريق ساق النبات والأوراق جزء آخر مما يكونه النبات من غذاء عن طريق الأزوت والكربون والماء والأكسجين ،

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بل النبات يخزن ما يحتاج إليه مستقبلًا في الجذور... وفي بعض النباتات يكون الغذاء المدخر في الجذور هو أهم جزء في النبات كما في الفول السوداني والبطاطس والبطاطا وغيرها.

ويقول العلماء إن الجذر يأخذ من الأرض خمسة في المائة من احتياجات النبات. أما الخمسة والتسعون فيحصل عليها النبات من الهواء؛ فإذا عرفنا أن الجذر يأخذ على الأقل عشرين في المائة من الغذاء يكون الجذر قد أعطى الأرض أضعاف ما أخذ منها مرات عديدة... وبذلك يزيد حجم الأرض وتهتز بإنبات النبات...

الحديد ومنافعه

إن أهم حدث في حياة الإنسان استخدامه للحديد ، إذ بدأ بذلك عصر جديد في تاريخ الأرض وتكوين الحديد قديم قدَم القشرة الأرضية إذ أنه في عصور قديمة في فجر التاريخ كما يقول جوثرود هارتمان في كتابه « العالم الذي نعيش فيه » : كانت الأرض الواطئة المغمورة بالمستنقعات تغطيها الغابات التي صارت إلى فحم فيما بعد ، وتسرّب الماء المشبع بالكربون في طبقات الأرض وأخذ منه كل ذرات الحديد التي صادفها في طريقه واستمر الماء في الهبوط إلى أسفل خلال الفجوات التي تتخلل الصخور ، وإذا كانت التربة جيرية أذاب الماء جيوباً في الصخر ورسب الحديد في هذه الجيوب وظل فيها مختفياً مدى قرون دون أن يعلم الإنسان عنه شيئاً ، وبالرغم من ذلك فقد تأخر اكتشاف استعمال الحديد عن النحاس والقصدير وغيرهما من المعادن إذ لا بد لصهر الحديد واستخراجه من حرارة شديدة لم يتمكن الإنسان من الحصول عليها إلا بأساليب استحدثها في العصور الأخيرة .

والحديد الذي تحمل إحدى سور القرآن اسمه وهي السورة ٥٧ واسمها سورة الحديد لم يعرف قدره وأهميته إلا بعد مئات السنين من قول القرآن فيه :

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

« وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » .

فحتى القرن الثامن عشر أي بعد نزول القرآن الكريم باثني عشر قرناً كانت صناعة الحديد غاية في الضعف ولم تعرف قيمته ، بل لم يكن ذا أهمية ، وفجأة اتجهت أنظار العالم إلى الحديد وتنافس العلماء في اكتشاف أيسر الوسائل لاستخراجه ، وأصبح الحديد يُطلق على عصر يتسم بالنهضة والرقي والعمران بعد أن تبين أن الحديد حقاً فيه بأس شديد . وصدق القرآن الكريم ..

وهكذا بعد أن كرم القرآن الحديد بحقبة طويلة يتضح أنه عنصر كريم ذو فوائد جمة ، فله خواص هندسية تميزه وتجعله مفضلًا عن باقي العناصر الأخرى فهو أقواها قاطبة للشد والضغط وبالرغم من ذلك فهو خفيف الوزن بالنسبة لباقي المعادن الأخرى التي تقاربه في خواصه . وللحديد خاصيتان هامتان ينفرد بهما وهما أن معامل تمدده بالحرارة يعادل معامل تمدد عناصر البناء ومنها الخرسانة فيجعله ذلك أصلح المعادن للبناء إذ لو اختلف معدله عن معدل الخرسانة كباقي المعادن الأخرى لانهارت المباني وتفككت أجزاء البناء بتوالي التمدد في النهار والانكماش في الليل ولكن تمدد الحديد بنسبة مطابقة تماماً لتمدد الخرسانة في الحر وانكماشه كذلك قدر انكماش الخرسانة في البرد يجعل البناء كتلة متماسكة ولذا فإن الخرسانة المسلحة بالحديد يبنى عليها قواعد الخزانات وأساس العمارات الشاهقة إذ أنها أمتن وأقوى من الحجر أو الأسمنت بل أقوى منهما معاً...

والخاصة الثانية التي ينفرد بها الحديد على غيره هي قدرته على

المغطسة بسهولة وبهذه الخاصة نشأ فن الهندسة الكهربائية وعم استعماله باكتشاف الحديد إذ أمكن إنشاء الآلات الكهربائية والموتورات التي جعلت إنتاج الكهرباء بكميات كبيرة ممكناً واستغلالها للنقل والحركة سهلًا ...

والحديد رغم ذلك موجود في الأرض بكميات كبيرة تكفي حاجات البشر على مر الأزمنة والأجيال إذ ما زال الحديد يُعتبر من المعادن التي لم تخرج الأرض منه مما فيها إلا كميات لا تذكر ... وها هي ذي الأنباء تحمل إلينا بصفة منتظمة اكتشاف المناجم الجديدة من الحديد. ويستخرج الحديد بنفقات أرخص من استخراج المعادن التي تقل عنه في الفائدة.

ويُستخرج من الحديد زهر الحديد وهو حديد خام مُستخرج من تراب الحديد بعد إذابته، والصاج عبارة عن ألواح رقيقة من الحديد أما الصفيح فهو الألواح الرقيقة من الصاج وقد طليت بالقصدير أما الفولاذ فهو الحديد الذي تم تنقيته من الشوائب تماماً وهو أقوى أنواع الحديد ولم يُكتشف إلا في عام ١٧٤٠ وقد اكتشفه بنيامين هبتسم صانع الساعات بأن دفع بالهواء في الحديد الخام المنصهر وهو في درجة حرارة عالية.

ويدخل الحديد الآن في كل معالم الصناعة كأساس لها... بل أصبح حجر الزاوية في كل ما يستعمله الإنسان كفرد أو مجموعة. فبينما نصنع منه القاطرة وعرباتها وقضبانها. والكباري التي تسير عليها مئات الألوف من هذه القاطرات وكذلك آلات المصانع التي تبلغ من

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الضخامة حداً يفوق الوصف، نجد أن الأشياء الدقيقة كذلك تُصنع منه كأسلاك البرق. والدبوس. وإبر الفونوغراف... وكما تُصنع منه القنابل والمدافع والدبابات تُصنع منه أدوات الجراحة... إن الحديد يستعمل في الحرب والسلام... واستخدامه عام سواء في خدمة الإنسان أم في حرب الإنسان ضد غيره... وإن الدولة التي تجد الحديد في أرضها تعتبر دولة قوية لأن الحديد أهم دعامة من دعامات القوة... النهضة... والعمران...

وصدق القرآن الكريم ... حقًا ... إن الحديد فيه منافع للناس ...

النوم طرح روحي مؤقت

دامت أبحاث العلم والطب وقتاً طويلًا لتجد تعليلًا لظاهرة النوم، وإيجاد تفسير لما يحدث في النوم بعد أن عجز العلم عن بيان الأسباب الدافعة المباشرة للنوم... فقيل إن النوم رغبة جامحة للراحة تنتاب المرهق المتعب، ونبى ذلك أن غير المتعب ينام أيضاً وتنتابه الرغبة في النوم مثل المكدود في مواعيد متقاربة... بل إن من قضت عليه الظروف بالراحة في الفراش أياماً أو شهوراً أو أعواماً ينام كذلك في ساعاته المعهودة. بالرغم من الراحة الجسدية التي حتمتها عليه ظروف وجوده في الفراش وفي ذلك يقول الدكتور هريوارد كارنجتون عضو جمعية البحوث النفسية: «قدم الباحثون فيما مضى عدة نظريات لتفسير النوم ولكنها رفضت كلها ولم يكن من بينها واحدة ملائمة تفي بالغرض مثلا تلك النظريات المسماة النظريات الكيمياوية تحاول تعليل النوم بافتراضها تكوين مواد سامة داخل الجسم خلال ساعات اليقظة ثم تقريرها أن النوم يبيد هذه المواد. وترمي بعض النظريات إلى أن سبب النوم حدوث حالات غريبة في دورة المخ الدموية. ويقول بعضها إن النوم راجع إلى وجود غدد خاصة، وبعضها ينسبه إلى الاسترخاء العضلي، ولكن هذه النظريات كلها عجزت في الواقع عن تفسير الحقائق التي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لا شك في أنها وجود روح آدمية قائمة بذاتها تنسحب كثيرًا أو قليلا من الجسم خلال ساعات النوم » .

وقد عد العلماء أن ما وصل إليه العلم من اعتبار أن النوم طرح روحي مؤقت ، نصرًا ما بعده من نصر ، إذ أمكن تفسير الأحلام التي يراها الإنسان في نومه فيتحقق منها بعد يقظته طالت المدة أو قصرت ... وأمكن تعليل رؤية النائم لأمكنة أو أشخاص لم يسبق له رؤيتهم فإذا ما زار هذه الأمكنة أو التقى بهؤلاء الناس عرفهم فورًا ، وتعجب من دقة وتطابق الحالتين حالة الرؤيا في النوم والمشاهدة في اليقظة .

وكان أول من قال إن من دلائل انسحاب الروح في النوم ما تقوم به من سياحات أثناء النوم فيراها النائم كأنها حلم وأثبت ذلك الدكتور هدسون تتل إذ يقول في كتابه « أسرار الروحية » : إن سيدة ولدت عمياء استطاعت في أحلامها أن ترى الأشياء بوضوح وأن تصفها بدقة ، ولما توفيت شرحت جثتها عقب وفاتها وظهر من التشريح أن أعصاب البصر عندها كانت ميتة .

ويقول الدكتور جورج لندسي جونسون إنه أجرى عملية جراحية في عيني فتاة في التاسعة عشرة من عمرها ولم تكن قط رأت شيئًا ألبتة ولكنها لما شفيت ورفعت الأربطة تبينت شكل كل فرد في الحجرة وملبسه واستطاعت أن تميز بين الألوان المختلفة مما يؤكد أن روحها كانت تنطلق في منامها فترى ما لم تستطع أن تراه بعينها .

وقرر كثيرون أنهم قاموا بأروع أعمالهم عندما شاهدوها في أحلامهم مثل الموسيقار أرثر سيمور سوليفان الذي ألف أغنيته المشهورة « النور الضائع »

في نومه وجوسيب ثارثيني الذي يقول إنه سمع في نومه كأن الشيطان يغني فما إن صحا من نومه حتى كتب اللحن وسماه «أغنية الشيطان». والرياضي المعروف هنري بوانكاريه رأى معادلات جبرية أدت إلى استكشافه قانونًا هامًا رياضيًا.

ولعل من الأحلام التي رددت الأوساط صداها كثيرًا تلك الرؤيا التي نشرت في عدة كتب وطبعت بأكثر من لغة وفيها: «كان في الصحراء... في جوف الصحراء الواسعة المترامية الأطراف، سيد وسيدة كلاهما تلقى العلم في أرقى الجامعات وكلاهما يعرف أن الصحراء غول لا صديق له. نفد الماء وعلف الدواب ومعهما رجال من الأدلاء والحرس، والعمران قصيّ بعيد، والاتجاه في أي متجه من غير علم به معناه الموت المحقق في جوف الرمال، وكانا يبحثان عن واحة مجهولة قطعا إليها طريقًا غير مسلوك. نزل بهما الهم وأخذ منهما ومن رجالهما القنوط، فأنيمت الإبل وجلست القافلة في ذلك القفر لا مؤنس لهما إلا الاعتقاد بأن الإرادة السرمدية نافذة فيهم لا محالة فإما طريق إلى الدنيا وإما طريق إلى الآخرة.

حلم السيد حلمًا وهو بعد ممن لم يعكفوا على التصوف يومًا من أيام حياتهم، وحلم بامرأة بيضاء تلبس البياض لم يستطع أن يصفها قالت له: «خذ السلسلة التي تعلقها في عنقك وتعال معي إلى قمة هذا الكثيب ثم ادفنها هناك وفي الصباح إذا حضرت لتأخذها سوف ترى آثار قدميك وقدمي معًا وبذلك تعرف الطريق» وفعل السيد كما أمر. وفي الصباح نهض من نومه وتذكر الحلم فاصطحب السيد رفيقة سفره ورجاله وأراهم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

آثار أقدام ذاهبة إلى الكثيب ثم هابطة . واحتفر في المكان الذي رآه في نومه فوجد السلسلة ثم تابع الأقدام فوجد المكان المأهول الذي نجا هو والقافلة بالعثور عليه » .

أما السيد فهو المرحوم أحمد محمد حسنين أما السيدة فالجوالة روزينا فوربس صاحبة الكتاب . والأمثلة التي تشابه ذلك لا تقع تحت حصر ؛ بل إن كل فرد لا بد قد رأى في نومه حلمًا تحقق وبهذا أمكن إثبات أن النوم إنما هو حالة طرح روحي مؤقت والأحلام ما هي إلا سياحة بالروح إلى حيث شاء الله ...

وقبل ذلك بعشرات المئات من السنين يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة عن النوم فتقول الآية ٤٢ من سورة الزمر :

« اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » .

فجعل النوم كالموت أي طرح روحي يكون دائما حين الموت ومؤقتًا في النوم .

والقرآن الكريم أول كتاب كذلك ذكر النوم بالنهار فالآية ٢٣ من سورة الروم نصها :

« وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ » .

وظل موضوع النوم في النهار موضع جدل حتى وصل العلم والطب إلى ما قرره القرآن الكريم إذ ينصح مدير التربية البدنية في جامعة ييل تلاميذه نصيحة خالدة نصها «عليك في الظهر بسنة من النوم».

ويقول راي جيلز في مجلة «بترهوفر»: أما وقد بلغ الإرهاق كل مبلغ بالأجسام والعقول والأرواح فقد آن الأوان لإعادة النظر في خطة بسيطة تزيدنا مقدرة على العمل وشعوراً بالراحة وتلك هي أن يغفو الإنسان كل يوم غفوة.

لقد اتفق الأطباء على أن هذه الغفوات التي تتخلل النهار تدفع الكلال وتخفض ضغط الدم حوالي ١٥ – ٣٠ ملليمتر وترفع عن القلب بعض الحمل المتعب. وقد لوحظ أن الإغفاء قبل القيام بأي مجهود بدني أو عقلي أو بعده يصنع العجائب بالنسبة للانتاج العضلي والذهني وللحالة الصحية عامة. وقد سئل م. ديبو عضو الشيوخ الأمريكي والخطيب المشهور كيف يستطيع أن يتكلم عدة ليال في الأسبوع ويقوم مع ذلك بعمله المرهق أثناء النهار فأجاب: «إني أعامل مصرفا للنوم ما أسحب من رصيدي فيه شيئًا بالسهر إلا أودعت في نفس اليوم وديعة أخرى فيظل رصيدي تام التوازن على الدوام».

وقد أكد الدكتور أدموند جاكوبسون الذي ألف كتابين عن «الاسترخاء المطرد» و«يجب أن تسترخي» والذي ظل عدة سنين مديراً لمعامل الفسيولوجيا الإكلينيكية بجامعة شيكاغو حقيقة وجوب النوم أثناء النهار.

ويقول ديل كارنيجي في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة». لقد

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

استطاع جون د . روكفلر الأب أن يضرب رقمين قياسيين الأول أنه جمع أكبر ثروة عرفها العالم في عهده والثاني أنه عاش حتى سن الثامنة والتسعين ، فكيف تأتى له ذلك ؟ أما طول عمره فلعل السبب الأول فيه هو الوراثة . أما السبب الثاني فهو اعتياده الإغفاء نصف ساعة بعد ظهر كل يوم في غرفة مكتبه فكان يستلقي على أريكته في غرفة المكتب ويستسلم للراحة التامة ...

ويتابع قوله إذا تعذر عليك أن تغفو ظهراً فإنك على الأقل تستطيع أن تستلقي على أريكة قبيل العشاء فإذا نمت ساعة في اليوم فإنك بذلك تضيف ساعة إلى ساعات يقظتك . لأن ساعة تنامها في خلال النهار مضافة إلى ست ساعات تنامها ليلا تجعل . المجموع سبع ساعات أجدى عليك من ثماني ساعات من النوم المتواصل ليلا .

المس الروحي

إن اهتمام الإنسان بالمحافظة على حياته أمر قد وجد في نفس الإنسان الأول ، فهو دائب البحث عن كل ما يدفع عنه الأذى ، فاستخدام الإنسان الأول للكهوف والمغارات إنما كان ليحمي نفسه من غوائل الطبيعة وشرور الحيوانات ... ثم تطور البحث لا في دفع الأذى . بل في المحافظة على الصحة ودفع المرض ... ويقول العلامة جورج سارتون في كتابه « تاريخ العلم » : في كل حضارة من الحضارات يتطور الطب مبكرًا ، لأن الحاجة إليه عامة ملحة دائمًا بحيث لا يمكن إغفالها في أية بقعة من بقاع الأرض . وإن الأعشاب والعقاقير عرفت في عصر ما قبل التاريخ وهناك شواهد مباشرة وافرة دالة على نوع جريء من العمليات الجراحية تمت فيما قبل التاريخ ، إذ وجدت جماجم بها آثار تربنة .

وأقدم البرديات الطبية التي وصلت إلينا تاريخها حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد واشهرها بردية إيبرز وطولها ٢٠,٢٣ مترًا وعرضها ٣٠ سم ونصها في ١٨٠ عمود يحتوي كل منها على ٢٠ أو ٢٢ سطرًا وتحتوي على ٨٧٧ وصفة طبية منها ١٢ حالة علاجها الرقى . وبردية سميث طولها ٥ أمتار وعرضها ٣٣ سم وتحتوي على بحث في الجراحة وفيها وصفات وورد بها ما يسمى بالمرض الذي لا يعالج .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وبعد ذلك ظهر فيثاغورس الفيلسوف اليوناني في الأعوام ٥٨٠ – ٥١٠ قبل الميلاد ، ثم أبو قراط الذي عرف بأبي الطب وذلك عام ٤٦٠ قبل الميلاد ثم جالينوس أمير الأطباء في عام ١٣٠ قبل الميلاد ثم أريستوتل وبلاتو وهيروفيليس وإيراستروتس وقالوا أيضًا بوجود أمراض غير معروفة السبب ، ونسبوها إلى السحر أو القداسة حتى إنهم أطلقوا على الصرع اسم المرض المقدس ... ثم راجت فكرة أمراض الشياطين حتى إن الناسكين الألمانيين كوامر وإسبرنجر قالا إنهما قاتلا وحدهما ٧٢ أميرًا من الشياطين ، و٧٤٠٥٩٢٦ من الشياطين الأقل درجة ... وقال جون ولسلي في عام ١٧٦٨ إن عدم الاعتراف بالسحر معناه عدم الاعتراف بالتوراة .

وتعددت الآراء في بعض الأمراض التي لا تتفق أعراضها مع أعراض الأمراض العضوية المعروفة ثم بتقدم علوم الطب أمكن الكشف عن الأمراض النفسية التي سببها من داخل نفس الإنسان ، علاوة على الأمراض العصبية التي تصيب الإنسان نتيجة مرض جهازه العصبي ، والأمراض العقلية التي سببها العقل . أما الأمراض العضوية والجراحة فقد كانت معروفة من قبل . ولكن وجد بالرغم من ذلك أمراض لا يمكن أن توضع تحت أي قسم من الأقسام المعروفة ، واحتار الطب في تشخيصها ، وعلاجها ... وأعراضها وإن اتفقت مع بعض أعراض الأمراض العضوية إلا أن الكشف يثبت أنها ليست منها ، فمثلا الصداع الذي لا يعرف سببه ، والدوخة التي لا يصاحبها أي خلل في أي جهاز من أجهزة الجسم . وغير ذلك من الأمراض المشابهة . ويتميز القرن الحالي وهو القرن الذي وصل فيه العلم إلى درجة لم تكن تخطر على بال ، بأنه قد وصل إلى نتائج قاطعة في مثل هذه الأمراض ، فأطلق عليها « المس

الروحي » وهو غزو روح ضال لإنسان حي فيتسبب عن ذلك أمراض عقلية أو عصبية أو عضوية ، وقد يدفع الروح الماس الشخص الممسوس أحيانًا إلى ارتكاب الجرائم ضد غيره أو ضد نفسه وهو دائمًا يهمس له بما لا ينفعه ولا ينفع الناس بل إن من ضمن أعراضه الحاجة الملحة إلى تناول المسكر أو الخمور .

ويقول الدكتور كارنجتون السيكولوجي في كتابه « الظواهر الروحية الحديثة » إن حالة المس الروحي هي حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها لأن مئات من الناس بل ألوفًا يعانون كثيرًا في الوقت الحاضر من هذه الحالة .

ويقول الدكتور وبستر الطبيب بقسم الأمراض العقلية بالجمعية الطبية الأمريكية : « لطالما رأيت الأرواح المحدثة للجنون ، بل في بعض الأحيان كنت أسمعها ، أما أولئك المجانين الذين قيل لهم إن جنونهم لا رجاء فيه فقد أضاعتهم في الغالب الهيمنة الجارفة التي فرضها على الواحد منهم روح أو مجموعة من الأرواح » .

ويعرف الدكتور هايسلوب المس الروحي بأنه « تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص حساس وجسمه » ....

أما الدكتور ويكلاند فيقول إنه لو عولجت حالات المس الروحي لأمكن إخلاء مستشفيات الأمراض العقلية من نصف نزلائها .

وبهذا الكشف عن المرض أمكن إيجاد علاج لمثل هذه الحالات وأطلق عليه العلاج الروحي وإذا كان هذا العلاج ما زال في مهده إلا أنه انتشر انتشارًا سريعا يفوق ما كان يتوقعه له العلماء والأطباء الذين

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

نادوا به . ففي الجامعات الكبرى تدرس مثل هذه الدراسات ومنها أكسفورد وكمبردج وانتشرت دور العلاج الروحي في كل بلاد العالم حتى أصبحت لهم كتب ونشرات وصحف ومجلات ؛ ويقوم بالدعوة لهذا النوع من العلاج أطباء عالميون مشهود لهم بالكفاية والمقدرة ، فمنهم ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة والذي يقول : «قد تحدث بعض المناشط الروحية في أنسجة الجسم وأعضائه تعديلات تشريحية ووظيفية معًا وهذه المناشط تظهر حقيقة بعض علاقات – لا تزال طبيعتها مجهولة – بين العمليات السيكولوجية والعضوية وهي تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية التي يهمل بحثها كل الإهمال علماء الصحة والأطباء والمربون والاجتماعيون ، مع أنها تفتح للانسان دنيا جديدة » .

والدكتور أدوين فردريك باورز أستاذ الأمراض العصبية بجامعات أمريكا الذي ألف الكتب في العلاج الروحي يقول : « عاف العلماء العلميون الماديون بطبيعة الحال أن يسلموا بوجود أية قوة معالجة لا تمت بصلة إلى الوسائل الطبية أو إلى تأثير الإيحاء الذاتي أو غير الذاتي مع أنه توجد ألوف الحالات التي ثبتت صحتها ثبوتًا قاطعًا وكلها تشهد بالعلاج بروح غير منظور تفوق قدرته قدرة البشر ، فاقتنع أخيرًا أشد العلماء العلميين شكا وارتيابًا بإمكان وجود قوة معالجة خارج الجسم لا تمت بصلة ما إلى أية عملية طبية أو عقلية معروفة » .

إذًا قد تمكن العلم الحديث في الأيام الأخيرة أن يكتشف مرضًا اسمه المس الروحي وحاول علاجه بينما قرر القرآن الكريم منذ أربعة عشر

قرنًا هذا المرضُ إذ تقول الآية ٢٧٥ من سورة البقرة :

« الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

من علم الديناميكا

لم يعرف العالم شيئًا عن علم الديناميكا أو ما يسمى بعلم الحركة إلا بعد عام ١٦٦٤ حينما لاحظ العالم نيوتن سقوط تفاحة بجواره على الأرض؛ ولم يدهشه أنها تسقط وإنما فكر في السبب الذي يجعل التفاحة تسقط من أعلى الشجرة ومن فوق رأس برج أو من على قمة جبل شاهق. وتساءل إلى أي مدى يمتد جذب الأرض للجسم ... وهل تجذب الأرض القمر كذلك ... وهل لذلك كله حساب دقيق. وعكف على هذه الدراسات إلى أن وصل إلى قوانين أساسية في علم الحركة خاصة بحركة كل الأجسام والثقل ورد الفعل.

وفي أوائل القرن الحالي ظهر العالم أينشتين الذي أدخل بعض التعديلات على نظريات نيوتين وخلص منها بنظريته النسبية التي يقول عنها العلماء إنها تعتبر بحق فاتحة عصر جديد في تطور العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية بل في تطور التفكير الفلسفي نفسه ..

وهذه النظرية معقدة إلى درجة كبيرة تحوي نظريات ومعادلات رياضية لإثباتها، ومن نتائج هذه النظرية أن الحوادث التي تحدث في مكان واحد يسهل على من يقيم في هذا المكان أن يرتبها ترتيبًا

زمنيًا من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ، ولكن إذا كانت الحوادث واقع
في أماكن متباعدة فكيف نحكم على تعاقبها الزمني ؟ إذا شاهد عا
خسوف القمر في الساعة الحادية عشرة فمعنى هذا أن القمر لم يخسف في
هذه الساعة وإنما خسف قبل المدة التي قضاها الضوء في الوصول من القم
إلى الأرض . ولو حدث أن كان عالم يرصد الخسوف من كوكب آخ
فإنه يراه في لحظة تختلف عن اللحظات التي يشاهدها الباحث الأرضي
بقدر اختلاف البعد بين الكوكب الآخر والقمر وبعد الأرض عن القمر
إذًا فلا يوجد زمان مطلق . وكذلك البعد بين نقطتين على سطح الأرض
قد يكون حقيقة مطلقة يسهل على أهل الأرض الاتفاق عليها . ولكن
ما معنى البعد بين نجمين يبعد كل منهما عنا ملايين الملايين من الأميال ..
هل نفترض أن سكان الأرض وسكان كوكب آخر سيتفقان على مقد
البعد ؟ ... إذًا فالزمن والكتلة والمسافة كلها أشياء نسبية وأقرب توضيح
لذلك قول القائل إنه مسافر من القاهرة إلى الاسكندرية بالقطار السري
فيصل إليها في ساعتين ... فقد يندهش شخص تعود السفر بالدابة إ
يقطع هذه المسافة في أيام وليال ويقول ما أسرع هذا القطار ! وقد يندهش
آخر تعود السفر بالطائرة فهو يقطع المسافة في دقائق ويقول ما أبطأ القطار ..
فالذي يعتبر الإنسان سريعًا قد يراه غيره بطيئًا . وما ذلك إلا لأ
كلا منهما قد نسبه إلى سرعة معينة اعتادها ... بل نحن في أغلب
الأحيان نحس بثقل الوقت وبطء مروره ، وفي أحيان أخرى نحس
بسرعة وخفة جريانه وما ذلك إلا تبعًا لحالة معينة نعانيها ...

والقرآن الكريم قطعًا هو أول كتاب علمي أو ديني قد جاء بأساس

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

النسبية فقرر أن هناك يوما طويلا يبلغ ألف سنة مما نعد ... وهناك يوم يبلغ خمسين ألف سنة . وذلك في الآية الخامسة من سورة السجدة التي نصها :

« يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » .

والرابعة من سورة المعارج التي نصها :

« تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » .

أما طول اليوم الذي تقول عنه الآية ١٧ من سورة المزمل :

« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا » .

فقد ذكرته الآية ٤٧ من سورة الحج :

« وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » .

ويقرر أينشتين كذلك أن الزمن ليست له حقيقة منفردة قائمة بذاتها

وأنه من خواص المادة وأن الكون ذو أبعاد أربعة ، وقد استحدث هذا البعد الرابع ، فالفضاء ذو الأبعاد الثلاثة شيء نتصور وجوده في لحظة معينة فهو لا يشمل الزمن ، ثم إذا توالت اللحظات كان لكل لحظة فضاء جديد ذو ثلاثة أبعاد خاص بها ، ومن هنا أوجد بعداً رابعاً هو الزمن . وقال إن تتابع الحوادث تتابعاً زمنياً متصلا مسألة خلافية ... فحرب نابليون سابقة لحرب ١٩١٤ وهذه قبل حرب ١٩٣٩ وذلك بالنسبة لسكان هذه الارض . أما بالنسبة لغيرنا فقد تكون العكس ... وإن الكون المكاني الزماني هو مجموع ما كان وما هو كائن وما سيكون وهو اشبه شيء بكتاب أولوح دونت فيه الحوادث ما مضى منها وما هو آت . فإذا كان أينشتين قد قاد حملة فكرية ونهضة علمية اعتبرت فاتحة عصر جديد يقرر أن الكون أشبه بكتاب دونت فيه الحوادث ... وإذا كان قد ثبت أن كل حركة أو قول أو فعل إنما يوجد في الأثير ... وأن العلماء يحاولون جاهدين حالياً اختراع أجهزة يمكن بها التقاط أصوات سابقة على أساس إمكانهم التقاط الأصوات الحالية ، ما دام الاهتزاز موجوداً والأصوات باقية في الأثير ، فإن كل ما تلفظ به الإنسان من يوم أن يولد إلى أن يموت خالد باق مسجل وهذا ما تقوله الآية ١٨ من سورة ق :

« مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » .

أما عن الحوادث وتدوينها في لوحة الكون فإن ما قاله أينشتين لا يصل إلى ما قاله القرآن الكريم قبله بعشرات المئات من السنين إذ يقرر أن كل إنسان له سجله الخاص الذي يسجل عليه عمله وأنه سيراه بنفسه ويقرؤه يوم القيامة كنص الآيتين ١٣ و١٤ من سورة الإسراء :

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

« وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَـٰئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَـٰهُ مَنْشُورًا . اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » .

والآية ٤٩ من سورة الكهف :

« وَوُضِعَ الْكِتَـٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » .

وراثة الصفات

تضمن القرآن الكريم أهم النظريات العلمية التي بنيت عليها قواعد علم الوراثة الذي يعتبر من أهم العلوم التي يتميز بها العصر الحديث . وقد سبق إيضاح بعض هذه النظريات في كتاب : « الله والعلم الحديث » ، منها نظرية زواج الأقارب والأبعاد أو تربية الأقارب والأباعد ، وتحديد الجنس في الإنسان .

وإن من ضمن النظريات العلمية في علم الوراثة التي سبق بها القرآن هذا العلم نظرية وراثة الصفات ... فمنذ قامت اسس الدراسة في علم الوراثة اتجهت أنظار العلماء إلى دراسة السلوك الوراثي للصفات وأجريت التجارب المختلفة آلاف المرات على مختلف الأصناف والأنواع من الكائنات ... وقد كانت الآراء متباينة مختلفة في هذا الشأن ، فمن قائل إن الصفات الكمنية إنما تورث من الأب فقط دون الأم ، وغيره يقول بل نصفها من الأب والنصف الآخر من الجد للأب ، وزاد على ذلك قول آخر بأن الصفات إنما تتسلسل من العصب لأجيال طويله وليس للأم ولا لعائلتها أي تأثير في صفات الفرد ... وكل فريق تمكن من إيجاد أمثال وحكم ومواعظ تؤيد رأيه ... وضرب الأمثال لبعض المشاهد ... وكانت كلها قطعًا على سبيل تأييد الرأي إلى أن توصل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فرانسيس جولتون في عام ١٨٩٧ إلى وضع قانون أسماه «قانون التوارث عن السلف» استمده من نتائج أبحاثه ، ويتلخص هذا القانون في أن كل فرد من الأفراد يأخذ نصف صفاته من أبيه والنصف الآخر من أمه ، وكل من هذين يأخذ نصف صفاته من كل من أبويه بالتساوي. إذ قد وجد أن كل نواة خلية بشرية تحتوي على ٤٨ من الكروموزومات فيما عدا خلايا البويضة والنطفة فإنها تحوي نصف هذا العدد ويتم العدد بتزاوجهما . وهذه الكروموزومات تحوي الجراثيم المورثة التي تعد أصل وراثة الإنسان للصفات . ولما كان كل من الأب والأم قد أسهم بعدد مساو من الجراثيم فإن الأب والأم يتساويان لذلك في توريث الصفات للانسان . واعتبر هذا القانون نصراً للعلماء والعلم .

ومن عجب أن القرآن الكريم قد قرر هذه النظرية قبل العلم بعشرات المئات من السنين إذ يقول في سورة مريم :

«يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا» .

أي أن مريم لا يمكن ان تكون خاطئة أو آثمة إذ لم تورث هذا الخطأ من الأب أو من الأم ، أي أن الصفات تورث من الأب والأم ...

عجائب الخلية الحية

عندما تقول الآية ٥ من سورة الطارق :

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ » .

فهذه دعوة ... بل أمر إلى دراسة ما خلق منه الإنسان ... وهي النطفة ... التي هي خلية حية ... وإذا كان العلم الحديث دعا إلى دراسة الخلية الحية وما زال يجتهد في دراستها فقد سبق القرآن العلم بعدة قرون عندما اهتم بالخلية الحية ووجه النظر إلى دراستها ...

لقد وصل الطب والتشريح إلى أن أجهزة الإنسان إنما هي آيات عجيبة تدل على قدرة الله وجميل صنعه ... كالجهاز الهضمي ... والعظمي ... والعصبي والتناسلي والبولي ... ولكن العلم في العصر الحديث قد وصل إلى آية في الإنسان اعتبرت غاية ما يمكن أن تصل إليه الروعة والإبداع بالنسبة للعقل البشري ألا وهي الخلية الحية إذ ثبت أنها جوهر الحياة ، وأنه لا حياة إلا في خلية فيقول العالم أ . ويلسون في كتابه « أثر الخلية في التطور والوراثة » : إن كل مشكلة متعلقة بالحياة تبحث في النهاية في الخلية فإن كل كائن حي ما هو إلا خلية .

ويقول الدكتور كلارنس كوك ليتل : « إننا قد نفهم النشاط العظيم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

التنوع في مدينة كبيرة ولكنا قد لا نصدق أنه من الممكن أن تقوم أجسامنا نفسها بعملية أكثر تعقيدًا وغرابة في هدوء وأدب ، عملية فيها صناعة تخزين وإصلاح ومواصلات ونقل وأعمال بوليسية وتخلص من نفايات وإدارة وإنتاج للغذاء وضبط للحرارة ، ولكن هذا هو ما يحدث حقًا في الخلية الحية » .

أما راتكليف فيقول في مجلة طبيب العائلة : في اللحظة التي يتم فيها الإخصاب تقرر الخلية الصغيرة بدقة تامة نوع المخلوق البشري الذي يجري إنتاجه ، حتى لون عينيه وتموجات شعره ... وإن العلم ما زال قاصرًا عن إدراك الأسباب والدوافع التي تدفع بالبويضة إلى أن تتخلص من نصف مادتها بعد أن تبلغ درجة النضج وتصل إلى الرحم وأن يتخلص الحيوان المنوي كذلك من نصف ما به ... حتى إذا اتحد النصفان كونا خلية واحدة صغيرة بالغة من الصغر حدًا كبيرًا إذ يبلغ وزنها ١٥ جزءًا من عشرة ملايين جزء من الجرام وتصل يوم الميلاد إلى حوالي ثلاثة كيلو جرامات وذلك بانقسام هذه الخلية الواحدة إلى عدد من الخلايا يبلغ حوالي ٢٠٠ مليون خلية .

هذه الخلية على الرغم من صغرها كيان عضوي معقد أشد التعقيد وتعقيدها الظاهري شديد جدًا . أما تعقيدها الحقيقي فأشد كما يقول أحد كبار الأطباء العالميين وهو الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة .

ومن هذه الخلية تتكون فئتان من الخلايا ... الخلايا الثابتة التي تتحد لتكوين الأعضاء كالمخ والجلد والغدد والغضاريف والأنسجة ، والخلايا

المتحركة التي تسبح في الجسم كله كخلايا الدم الحمراء والبيضاء .

وتحمل الخلية نوعين من المسئولية ، نشاطها في تدبير مسكنها الخاص ومسئولياتها حيال الجماعة .

والأولى تتضمن وظائف مختلفة كالأكل وإزالة النفايات ، أما الثانية فمسئوليتها كبيرة حيال غيرها من الخلايا . فخلايا البنكرياس مثلا تنتج مضخات صغيرة مستمرة من الأنسولين تسيطر على استخدام السكر ، وخلايا الدهون تخزن قطرات صغيرة من الزيت لاستخدامها كوقود لتدفئة الجسم ، وخلايا المعدة تصنع الخمائر التي تهضم الطعام . أما خلايا الدم فهي تتحول وتنشط وتسرع إسراعًا غريبًا في المناسبات ، فإذا أصاب الجسم جرح وتكاثر الميكروب فإن الخلايا الحاملة تعيد إنتاج نفسها بكميات ضخمة تزيد مئات الألوف عما كانت عليه لمواجهة العدو.

ويقول الدكتور كاريل : ولو أنه لم يكن للخلايا سوى المميزات التي يعرفها العلماء لما كان في طاقتها أن تبني الكيان العضوي . إنها بفضل خصائصها الظاهرة وبفضل عدد هائل أكبر من الخصائص الخفية ترد على التغيرات الطبيعية الكيمائية في الوسط الإنساني لتواجه الحالات الجديدة الطارئة في حالات الصحة والمرض تبعًا لما تستلزمه حاجة الجسم .

وما زال العلماء يقفون حيارى أمام هذه الخلية وما تقوم به ، بل ما زالوا لا يستطيعون إيجاد تعليل لانقسام الخلية العادي ولا انقسامها غير العادي . وما زالوا يجدون في البحث للوقوف على سر تجمع الخلايا التي هي في الأصل واحدة تتشكل وتتباعد في أغراضها ولكنها تتوحد في هدفها وهي تكوين جسم الإنسان . ويقول الدكتور روسكو سبنسر :

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ليس في الطبيعة شيء اعجب من الحكمة التي تقسم بها الخلية نفسها إلى جماعات شتى لكل جماعة وظيفة تؤديها وكل جماعة منها تختلف لهذا الغرض عن الأخرى قوامًا وتركيبًا ولكنها كلها أصلها واحد .

ويقول الدكتور كاريل : « لقد أمكن بفضل الطرائق التي تسمح بتربية الأنسجة في الأوعية الزجاجية وأنابيب الاختبار أن نتعمق في معرفتها ، لقد تبين أن الخلايا مزودة بقوى لم تكن في الحسبان وبخصائص مدهشة – لا نعرفها – تتمكن بها من تشييد الكيان العضوي الحي » .

لقد اعترف العلم أن خلق الإنسان يتم من الخلية التي هي جزء من الإنسان والتي تتكون من الغذاء الذي تنبته الأرض ومن خصائص لا نعرفها .

وهذا ما قال به القرآن الكريم في الآية ٣٦ من سورة يس التي نصها :

« سُبْحَٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » .

* « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ »

يقول الدكتور ألكسيس كاريل إن الإنسان ليس كما نعتقد روح وجسد . إذ أن الروح والجسد إنما ابتدعتهما أساليبنا في الملاحظة . فالإنسان علاوة على ذلك أنسجة وسوائل عضوية وشعور . وإنه ليمتد في آن واحد عبر المكان والزمان فهو يملأ الأبعاد المكانية الثلاثة كما يملأ البعد الزمني الرابع للكتلة . ولكن هذه الأبعاد الأربعة لا تحتويه بكامله . فالشعور كما يوجد في المادة المخية يوجد كذلك خارج نطاق المادة . فالإنسان على ذلك أعقد من أن نستطيع تناوله في مجموعة ولا قبل لنا بدراسته ما لم نحلله إلى أجزاء بواسطة طرقنا الخاصة في الملاحظة . وهو أينما نظرنا إليه نجده في أحسن ما يكون عليه .

إن القرآن الكريم الذي يقول في الآية ٤ من سورة التين :

« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .

نزل في عصر لم تكن العلوم قد تقدمت حتى نعرف مدى ما تستوعبه هذه الآية الشريفة من علوم أفصح عنها التقدم العلمي في العصر الحديث .

فالإنسان إذا ما نظرنا إلى أبعاده أو شكله أو تركيبه الداخلي أو

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

تراكب أعضاء الخارجية نجده حقا في أحسن تقويم ، فهو يقع من سلم الأحجام في منتصف المسافة بين الذرة والنجمة ، أي بين ما يطلق عليه المثل في الصغر وما يضرب به المثل في الكبر ، فلو كان في أول سلم الأحجام لما كان هناك أصغر منه ولو كان في آخره لما كان هناك أكبر منه ولاختلت عنده لذلك المعايير والمقاييس التي تظهر الصغير والكبير ، فطول الإنسان يعادل مائتي ألف خلية من خلايا الأنسجة أو طول مليونين من المكروبات العادية أو طول مليارين من جزيئات الألبومين الواحدة بجانب الأخرى ... بينما يلزمه وضع أكثر من أربعة آلاف رجل وقوفًا الواحد فوق الآخر لنصل إلى ارتفاع جبل أفرست كما يقول الدكتور ألكسيس كاريل .

وقد يقول قائل إن كبر أو صغر الحجم المكاني للانسان لا أهمية له ، فلا يتغير الإنسان بأبعاده المادية ، ولكن هذه الأبعاد قد أثبت العلم أنها من الأهمية بمكان . فالطول والعرض يرتبطان بخصائص خلايا الأنسجة وطبيعة التغيرات الكيمائية وعمليات الهدم والبناء في الكيان العضوي . فالتيار العصبي ينتشر بسرعة معينة ، فطول الإنسان طولا بالغًا يجعله ذا إدراك بطيء للمؤثرات الخارجية ، ولذلك تكون استجابته الحركية متأخرة مما يسبب له الضرر قطعًا ، وكذلك إذا قصر في طوله قصرًا شديدًا كان سريان الإحساس العصبي سريعًا سرعة تفقده إمكان التحكم في التفكير المناسب .

كما أن عمليات الهدم والبناء لدى أي كائن حي تكون من النشاط بمقدار اتساع مساحة جسمه بالنسبة لحجمه ، ولذلك فإن نشاط هذه العمليات

عند الحيوانات الكبيرة الحجم أضعف منه عند الصغيرة ، فالحصان أقل نشاطًا من القط في هذه العمليات . فلو كان طول الإنسان أكثر مما هو عليه لنجم عن ذلك نقص في شدة التفاعلات الكيماوية ، ونزعت منا الزيادة قدرًا كبيرًا من سرعة إدراكنا ومن خفة حركتنا . أما إذا قصر عن ذلك فإن سرعة التفاعلات الكيماوية تزداد ، ولو زادت فقد لا يستطيع الإنسان حمل القلم أو الكتابة به .

أما في التركيب الداخلي ، فالقلب والرئتان معلقة في داخل قفص عظمي يتكون من العمود الفقري وضلوع الصدر ، في حين نجد الأعضاء الرقيقة كالمخ والنخاع تحتويها صناديق عظمية مبطنة بأغشية ومواد سائلة ولزجة .

والأعضاء الزوجية على أبعاد متساوية تمامًا سواء أكانت أعضاء ظاهرة أم باطنة ، فالكليتان والمبيضان والخصيتان من الداخل . والحاجبان وفتحتا العينين والأنف والأذنين والثديين واليدين والرجلين كل واحدة منها على بعد متساو من منتصف الجسم ، فإذا ما مر خط وهمي رأسي من منتصف الرأس ومر في الإنسان ليقسمه قسمين نرى أن كل عين على مسافة متساوية من هذا الخط مع العين الأخرى وكذلك الأنف والأذن وغير ذلك . أما الأعضاء الفردية فنرى أن الفم مثلا في منتصف هذا الخط ... وفي التركيب الداخلي نرى أن القلب في ناحية يقابله في الأخرى الكبد والطحال .

وإذا ما نظرنا إلى وضع أعضاء الجسم نرى أن هذا الوضع يحقق أحسن تقويم للانسان فالأذنان بوضعهما يسمع بهما الإنسان أي صوت

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

سواء أكان الصوت من اليمين أو اليسار... ولو كانت فتحتا الأنف كالأذنين مثلا ... لما استطاع الإنسان أن يميز أي رائحة إذ تختلط رائحة من الشمال مع أخرى من اليمين فلا يمكن الحكم عليها ... ولا يكون بالدقة التي تتجاور فيها فتحتا الأنف هذا التجاور.

ترى لو كانت العين مثلا في أسفل الجسم ... فهل يمكن أن يرى الإنسان ما قد يصيب رأسه ... وهل كانت تسلم العيون من الأذى وقد اقتربت من الأرض حيث التراب والأوساخ ... لو كانت العينان في فتحة واحدة فكيف يكون الضرر إذا ما أصاب العطب العين ... إن الإنسان ليستطيع أن يعمل إذا ما أصيبت عينه ... فلديه أخرى ... وكذلك اليد وكذلك القدم ...

إن من حسن تقويم الإنسان ... أن لعينه جفنًا يحميها من الأذى ... وللجفن شعرًا يعكس الشمس عنها ... وفي الأنف شعيرات تحجز الغبار والتراب ... وتدفىء الهواء الداخل ... وللعين ... ماء تفرزه غدد تجعلها لا تجف ... فكيف لو كانت هذه الغدد في الأنف ... وشعيرات الأنف في العين ؟ ...

انظر إلى أي عضو في الجسم ... بل انظر إلى قطعة صغيرة في الجسم .. ترى العجب ... مسام الجلد التي تخرج السوائل إلى الخارج ... ولا تدخلها إلى الداخل ... كيف لو كانت العكس ... أكانت تقوم حياة ... هذه الأوعية الدموية التي تجعل الدم يسير في اتجاه واحد ، مهما تغيرت أوضاع الإنسان ... كيف لو تركت وشأنها ... ألا جلت قدرة الله

وعظمته ... وسبحان الله ... وصدق القرآن العظيم ...

« لَقَدْ خَلَقنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

عظام الانسان

اهتم القرآن الكريم بالجهاز العظمي للانسان اهتمامًا بالغًا فقد تكرر في أكثر من سورة ما يفيد أن هذا الجهاز هو الأصل في تكوين الإنسان كما في الآية ١٤ من سورة المؤمنون التي تقول :

« فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ » .

وإن العظام هي التي تحتفظ بشخصية الإنسان فهي الأساس عند البعث فقد جاء في سورة يس الآية ٧٨ التي تقول :

« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ » .

وفي سورة الإسراء الآية ٩٨ :

« وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلقًا جَدِيدًا » .

أما الآية ٣ من سورة القيامة فتقول :

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ »

وجمع العظام يفيد إعادة تكوين الإنسان ... إذًا قد قرر القرآن الكريم أهمية هذا الجهاز واعتبره الأصل في الخلق والإعادة . فما موقف العلم الحديث فيما قرره القرآن ؟

يقول علم السلالات البشرية إن للعظام حديثًا تنطق به وتحقق التسلسل في تاريخه بل تدل على مدى ما تعرض له صاحب العظام في حياته وكذلك بعد مماته .

فالهيكل العظمي للانسان يحدد في حياته وبعد موته أيضًا جنس صاحبه وعمره ، والسلالة التي انحدر ودرجة الخلط بين أبويه أو جديه إن كان هناك خلط في سلالته . وتوضح العظام كذلك العسر الذي قضاه صاحبه في الحياة والأمراض التي انتابته فيها وسبب موته . فمن السهولة أن تجيب عظام الانسان عن كل ما قد يخطر على بال أي سائل من أوصافه .

لقد أصبح للعظام شأن أي شأن في علوم التشريح والأحياء . بل ساعدت العظام علماء الآثار في كتابة تاريخ الحضارات في العالم ونشأة البشرية والتطور الذي تم للكائنات . وقد أفاد الجهاز العظمي العلماء المشتغلين بكفاح الجرائم حيث يسرت لهم الوقوف على أسباب الموت وإصابات القتل وذلك من النظرة العابرة التي يلقونها على عظام الميت .

ويقول علم السلالات إن معرفة الكائن وتاريخه من عظامه من أسهل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الأمور. فمثلا جمجمة الزنجي طويلة متسعة وفجوات العينين متباعدة والذراعان أطول نسبيًا من الساقين. ومن السهل جدًا الوقوف على سلالة صاحب العظم إن كان ملونًا أو غير ملون ودرجة الخلط في أصله.

وبعد معرفة أصل صاحب الهيكل العظمي أيمكن الوقوف على جنسه ذكرًا أم أنثى بعد أن غابت الملامح الظاهرة التي كانت تميز الذكر عن الأنثى؟ ... يقول العلم الحديث إن من أسهل الأمور على فاحص العظم الوقوف على الجنس. فإن الجمجمة وحدها تحدد الجنس إذ أن اتساع جمجمة الرجل تزيد عن المرأة بنحو ٢٠٠ سنتيمتر مكعب وإن حافات عظام الحواجب أقل بروزًا في المرأة. وعظام الحوض في المرأة أكثر اتساعًا عن الرجل ومن النظرة الأولى الإجمالية للعظم كله نرى أن الهيكل العظمي للمرأة أرق وأرشق من هيكل الرجل.

أما أوصاف صاحب العظم تفصيلاً. فإن طوله مثلا يحدده طول عظام الفخذ فإن طول قامة الرجل عبارة عن طول عظمة الفخذ مضروبًا في ١.٨٨ ويزيد على الناتج ٨١.٣٠٦ سنتيمترًا. أما طول قامة المرأة فعبارة عن طول عظمة الفخذ مضروبًا في ١.٩٤٥ ويزيد على الناتج ٧٢.٨٤٤ سنتيمترًا. وهكذا تتحدث العظام عن أصل الشخص ونوعه وجنسه وأوصافه. أما تحديد السن فإنه أسهل إذ أن براعم الأسنان ومراكزها وحلقاتها ودرجة نموهذه المراكز تحدد السن تحديدًا قاطعًا كذلك فواصل عظام الرأس وبناء العظام نفسها كلها تحدد العمر الذي عاشه صاحب العظام.

وقد اتضح أخيرًا أن العظام وحدها دون أعضاء الجسم الأخرى

تحافظ على خصائصها دون تغيير الاف السنين في قبرها وبذلك استطاع العلماء تدوين تاريخ القدماء وكتابة قصص حياتهم وأعمارهم ، وقد حلت العظام المشاكل العديدة التي تقوم حول البنوة والوراثة وقرابة الناس بعضهم لبعض .

وتحت عنوان (حديث مع اسلافنا) كتب العالم الروسي أ. بوزينا يقول (في اثناء القيام بعملية تجديد وترميم كاتدرائية سانت صوفيا في كييف فتح التابوت المرمري المزين بنقش زخرفي على قاعدته وكان المعتقد منذ أمد طويل ان هذا الضريح يضم رفات الأمير ياروسلاف الحكيم واضع اول مجموعة قوانين تحت اسم الحق الروسي ، غير أنه كان من المستحيل التأكد من أن هذا هو رفات الأمير ياروسلاف فالضريح قد فتح ونقل من مكانه عدة مرات . غير أن هذا لم يمنع بعد عشرة قرون من الاقدام على محاولة للتأكد من شخصية صاحب الرفات المدفون في التابوت المرمري . وقد تمت هذه العملية بمهارة على يد دمتري روخين العضو المراسل باكاديمية الاتحاد السوفيتي للعلوم الطبية والرجل الذي يرأس كرسي اشعة روينتجن والإشعاع بالمعهد الطبي الأول بمدينة لينجراد . واثبت روخين بما لا يدع مجالا للشك أن هذا التابوت هو المقر الأخير للأمير ياروسلاف .

والواقع أن اربعين سنة تقريبا مضت على روخين وهو منكب على دراسة امراض الناس الذين عاشوا منذ عدة قرون وهو يحتفظ بصلات وثيقة بأبرز رجال الآثار وعلماء الأجناس والمؤرخين في بلادنا . وكثيرا ما ترسل بعثات التنقيب موجودات المتاحف ذات القيمة الحضارية الى

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

هذه المعلومات تتفق مع ما ذكر التاريخ عن مصرع الأمير اندريه بوجويوبسكي الذي لقي حتفه نتيجة مؤامرة دبرها بعض غلمانه.

وهكذا قرر العلم ما قرره القرآن من عشرات المئات من السنين.

وكذلك سبق القرآن العلم بمئات السنين في تقرير حيوية العظام وأهميتها في وظائف الإنسان، فقد كانت العلوم تعتبر عظام الإنسان إنما هي دعامات صلبة لا حياة فيها قامت لحفظ توازن الإنسان وتركيب باقي مكونات الجسم عليه. في حين يقرر القرآن أنها أخطر من ذلك وأبعد أثرًا، ففي سورة مريم تقول الآية الرابعة: إن سيدنا زكريا دعا ربه أن يهبه غلامًا بالرغم من أن امرأته كانت عاقرًا وأنه وهن العظم منه:

« قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ».

فقد نبه القرآن الكريم إلى علاقة العظم بإنتاج الأولاد ... وبعد هذا يكشف العلم الحديث ما سبق القرآن إليه.

يقول ج. ر. راتكليف: «لقد عم انتشار الأبحاث الطبية في عصرنا الحالي فأزاح الستار للباحثين عن أسرار حيوية العظام بعد أن كانت تعد أشياء جامدة غير حية».

وقد قرر العلم أخيرًا أن للعظام وظائف مهمة تتوقف عليها حياة الإنسان فهي تحتوي على كل ما يحتاج إليه الجسم من الفوسفور والكالسيوم وتنظم عملية توزيعه تنظيمًا يحفظ ضربات القلب وحركة

روخين الذي يضع ما يصله من عظام القدامى تحت أشعة اكس فكأنا تدب فيها الحياة من جديد ... وتحدثنا عن أصحابها الذين ذهبوا منذ مئات السنين . وقد ثبت من فحص عظام الأمير أنه كان مصابا بتشويهات في المفاصل كما كشفت عن كثير من الشروخ والجراح وكان يشكو من اعتلال غدد الافرازات الداخلية ومن داء النقرس ومن عدد من الأورام ... وواضح أنه من الممكن أن نستنتج من التغيرات في الهيكل العظمي ومن درجة نمو العظام ماذا كان يشكو منه أسلافنا ... بل وأن نكون فكرة عن طبيعة أمراضهم ... فالمعروف أن هيكل الانسان يتوقف كثيرا على حالة غدته الدرقية . فاذا لم تكن نشيطة بما فيه الكفاية اثناء فترة النمو فان نمو الهيكل العظمي يكون اكثر بطئا ... وتصبح العظام أكثر اتساعا ... ويقصر طول الرسغ ويزداد عرضا وعجزا عن الحركة وبالعكس ... اذا كان نشاط الغدة الدرقية اكثر من المعتاد يزداد طول الهيكل العظمي وتصبح اصابعه أميل الى الطول والنحافة وراحته أقل عرضا. ولا تستطيع مائة سنة أو مائتان أو حتى الف سنة أن تخفي هذه الظواهر عن عين إخصائي اشعة رونتيجن الذي يتخذ مرضاه من بين قدامى الهون والمغول بل من امرأة النياندرثال وطفلها وهي من أقدم اجناس البشر على الأرض . وعندما عرض ذات يوم على دمتري روخين رفات رجل ووري التراب منذ مئات السنين بهدف الكشف عن سبب وفاته قال إن هذا الرجل المجهول قد لقي حتفه بسبب اصابته بعدد كبير من الجراح بواسطة آلة حادة وضربة واحدة من الإمام – أما بقية الطعنات فقد كانت من الخلف بعد أن انبطح الرجل على الأرض . وقد اتضح أن يد الرجل اليمنى قد تهشمت بينما اخترقت أحد اضلاعه رأس حربة وتبين أن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لعضلات . وكذلك فإن العظام تنتج كريات الدم الحمراء والبيضاء طوال حياة الإنسان بلا انقطاع ويكفي أن نعرف أن كل دقيقة يموت ما يقرب من ١٨٠ مليونًا من كريات الدم الحمراء وعلى العظام تعويض ذلك فورًا حتى نعرف العبء الملقى على عاتقي العظام . ويعتبر العظام مخزنًا يحفظ فيه الجسم المواد الغذائية الزائدة عن استهلاكه إلى وقت الحاجة .

كما قرر العلم حديثًا أن حالة العظام تؤثر تأثيرًا مباشرًا على الجهاز العصبي وأنها لذلك تتدخل تدخلاً مباشرًا في قدرة الإنسان على التوالد وإنجاب الأطفال . وهذا ما قاله القرآن الكريم .

من علم الأجنة

في كتاب «الله والعلم الحديث» وفي باب الإعجاز العلمي للقرآن ثبت أن ما وصل إليه الطب والعلم في علم الأجنة جاء به القرآن الكريم، فخلق الإنسان، وكيفية هذا الخلق، ومكان النطفة في الجنين، وأغشية الجنين، وتطورات شكله، كل ذلك سبق القرآن العلم إليه. وهناك آيات علمية لم يتسع المجال لتناولها في علم الأجنة في الكتاب المذكور بينها الآية ٧٨ من سورة النمل التي تقول:

«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ١.

هذه الآية تقرر أكثر من حقيقة علمية وصل إليها العلم في عصرنا الحديث.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي أخرج الجنين إلى عالم الأحياء وهذا يدل على عدم استطاعة الإنسان أن يتحكم في موعد الولادة وقد قرر العلم أنه يستحيل إطلاقا تحديد يوم الولادة بالرغم من أن فترة الحمل الطبيعية

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

تبلغ تسعة أشهر، وبالرغم من أن الأطباء يحتسبون فترة الحمل ٢٨٠ يوما في المتوسط من أول أيام الحيض السابق للحمل مباشرة إلا أنه لوحظ أن الولادة لا تتحدد في اليوم المرتقب. ويقول الدكتور محمد وجيه مطر: «وهذا لا يعني أن الحامل لا بد أن تلد بعد هذه المدة بالضبط وإنما هي قد تسبق هذا التاريخ أو تتأخر عنه بأيام قليلة أو كثيرة». وهناك أرقام أخرى يقول بها الأطباء، فقد لوحظ أنه في ثلثي حالات الحمل تتراوح مدة الحمل بين ٢٧٢ يوما و٢٨٨ يوما، أما في الثلث الباقي فقد تزيد أو تقل عن ذلك.

فيا ترى من أي فريق هذه الحامل؟ ... أمن الثلث أم من الثلثين؟

ثم يقرر الأطباء بعد ذلك أن الولادة قد تسبق التاريخ المتوقع بمدد طويلة فيمكن أن تكون الولادة بعد ٢٠٠ يوم، وقد تتأخر تأخراً طويلا يصل إلى ٣٣٠ يوماً بل وصل في بعض الحالات إلى ٣٤٩ يوماً. وهكذا بالرغم من دقة الحساب ... وتقدم الكشف ... وبراعة الطب ... وموالاة الفحص فإنه يستحيل تحديد يوم الوضع، إذ لادخل للحامل ولا للطب فيه، وينتظر الطبيب كما تنتظر الحامل أمر الله بالولادة ...

وكذلك يقرر الطب الحديث أن الولادة نفسها عملية لا دخل لأي إنسان فيها، فهي عملية لا إرادية ... فعندما يصل الحمل إلى نهايته ويشاء الله للحامل أن تلد ... ينقبض الرحم على الجنين ليطرده إلى الخارج ... ولم يعرف الطب بعد شيئاً عن هذا الانقباض ولا عن الأجهزة التي تشرف عليه. وما الطبيب أو القابلة إلا لمساعدة الحامل في استقبال مولودها وإعداده ... وكم من ملايين الولادات تمت دون استعانة بأحد.

وقد أظهر التقدم في علم الأجنة وجهاً آخر من أوجه الإعجاز في هذه الآية ، فإن ترتيب الحواس في هذه الآية . ترتيب مقصود ، هدف إلى تعليم الإنسان حقائق لم يعرفها إلا في السنوات القليلة الماضية ، وهي ترتيب خلق الحواس في الطفل ... فالطفل عندما يولد يسمع ولا يرى لعدة أيام . ثم يبدأ في تمييز الضوء والظلام ولا يرى إلا بعد خمسة عشر يوماً ... أما العقل والحواس الأخرى فلا يستطيع الطفل أن يستعملها إلا بعد أعوام طويلة . ومما يؤكد قصد القرآن بهذا الترتيب أن الآيات التي وردت فيها هذه الحواس كانت بهذا الترتيب مثل :

« إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » .

« وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ » .

« وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » .

« قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ » .

« وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ » .

والحمل كذلك من عطاء الله لا يملك الإنسان فيه شيئاً ، أما التحكم في جنس المولود فهذا أمر مستحيل . إن كثيرين من الملوك قد عاشوا وماتوا ولا هم لهم في الحياة إلا محاولة إنجاب ذكور يرثون العروش أو الثراوت فباءوا بالإخفاق بالرغم من تعدد محاولاتهم مع أطبائهم وعرافيهم وكهنتهم ... فقد ينجبون إناثا ، وتتوالى ولادة الإناث ، وقد لا ينجبون إطلاقا .

ويحدثنا التاريخ القديم والحديث ، عن قصص هي موضع العظة والعبرة في هذا الشأن . وإن التاريخ القديم لينوء بالعدد الوافر من هذه القصص ، أما التاريخ الحديث ونحن نعيش فيه ، فكل منا يعرف أكثر من قصة ... بلغت مبلغ المأساة في طلب الولد ... أو الأنثى ...

ولعل أشهر قصة في العصر الحديث ... قصة إمبراطور إيران الحالي وزوجته السابقة . ففي نهاية سنة ١٩٥٠ تزوجها وفي ليلة العقد وضع بجوارها طبق فيه جبن أبيض ورغيفان كبيران طول كل منهما متر ونصف وطبق فيه جرجير ومقدونس وآخر فيه بيض ... وموقد يتصاعد منه

البخور... واجتاز الزوج طريقا وضع فوقه الماء به سورة يس ... وذلك أربع مرات . ثم عندما عقد العقد تقدم ولد صغير دون الحلم وأعطى الإمبراطورة وردة قائلا سيرزقك الله ولداً ... وهكذا فعل الإمبراطور والإمبراطورة ما يشاع أنه السبيل إلى إنجاب الوله .

وانتظرا ثلاث سنوات ولم يرزق الإمبراطورة ولداً أو بنتاً ... فلجأت إلى الطب تطرق بابه في كل مكان ... ففي أمريكا ظلت أياماً تحت الفحص بمستشفى نيويورك ، وفي روسيا عولجت في كييف عند الدكتور أليتش سيرانو وفي لينجراد لدى الدكتور إيفانوفيتش ، وفي الأرجنتين عند ارنياندا جروسو ، وفي سويسرا ، وإيطاليا ثم اتجهت إلى التعاويذ والتمائم .. وعالجها باك صبوح الذي يطلق عليه لقب قديس إندونسيا ... ولكن باءت هذه المحاولات بالإخفاق ... وطلقها الإمبراطور... بسبب الولد .

إن ملايين المحاولات من جانب الطب بذلت في عشرات السنوات بعدما وصل الطب إلى حقيقة هي أن الحمل نتيجة اخصاب حيوان منوي مخصب لبويضة قابلة للاخصاب ... أما إذا كان ماء الرجل غير مخصب أو بويضة المرأة قاصرة عن الإخصاب فلا سبيل للحمل مهما بذل الطب ... وكذلك يقرر الطب أن التحكم في جنس الجنين أمر مستحيل ...

وهكذا يقرر العلم الحديث حقيقة جاء بها القرآن منذ أربعة عشر قرناً في الآيتين ٤٩ و ٥٠ من سورة الشورى فيقول عز القائل :

« لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ الذُّكُورَ.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومما جاء به القرآن الكريم عن الحمل سابقاً العلم بعشرات المئات من السنين ... الآية ٢٢٨ من سورة البقرة إذ تنص الآية :

« وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ » .

والثلاثة قروء هي ثلاث حيضات أو ما يقابل ثلاثة أشهر وقد ثبت أن علامات الحمل بعد هذه المدة تكون قد ظهرت ظاهرياً وداخلياً ... أما ظاهريا فكبر الجزء الأسفل من البطن ... أما داخلياً فعدم نزول الحيض ثلاثة أشهر متتالية ... واضطرابات معدية تكون دلالة للمرأة لا تخيب في أنها حامل .

وتقول مارجريت شيا جلبرت في كتابها « قصة جنين » الحائز لجائزة أفضل الكتب العلمية إنه يحدث أقصى النمو في الجنين في الشهرين الرحميين الثالث والرابع حيث ينمو الجنين إلى ست أو ثماني بوصات تقريباً في الطول ، ويكاد بذلك يبلغ نصف طوله حين الميلاد . وفي الشهر الثالث تبدأ تظهر كل الأجهزة ، ولا يعود هناك شك في الحمل إذ تحس الحامل بجنينها يتحرك ...

إذاً قد حدد القرآن الكريم بإعجازه العلمي المدة التي يتأكد بعدها

الحمل ... وهي أقل مدة ممكن أن يتأكد فيها الحمل ... فقبل ثلاثة أشهر قد يختلط الأمر... وبعد ثلاثة أشهر نكون قد ظلمنا المطلقة التي لم يتأكد حملها ... وهكذا شمل القرآن برحمته المطلقة والجنين ... والأنساب ...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الكتراكتا

تصاب العيون بأمراض كثيرة منها أمراض عارضة بسيطة ، وأخرى خطيرة . وتتمثل هذه الأمراض الخطيرة في مرضين شائعين هما الجلوكوما والمياه الزرقاء ، والكتاراكتا أو المياه البيضاء والكتاراكتا أي الشلال باللغة الإنجليزية أطلق على هذا المرض إذ أنه عبارة عن ماء ينزل من أعلى إلى أسفل ، وأطلق عليه في اللغة العربية اسم « المياه البيضاء » لما يسببه هذا المرض من تغيير مادة عدسة العين الشفافة إلى مادة بيضاء معتمة تكون شأنها شأن زلال البيض قبل وبعد نضج البيضة . فزلال البيض إذا سلقها شفاف رائق فإذا سلقت أصبح زلالها أبيض معتماً ...

وليست الشيخوخة وحدها سبب الكتراكتا كما في الجلوكوما فقد امتدى الطب في العصر الحديث الى أن من ضمن أسباب هذا المرض ارتفاع ضغط الدم وكثرة البكاء وعمق الحزن وكذلك يعجل بحدوثه هذه الاضطرابات النفسية .

وعلامات هذا المرض إصابة العين بضعف في الإبصار يزداد شيئاً فشيئاً ويلاحظ ظهور بياض في عدسة العين حتى إذا (استوت) هذه (المية البيضا) دهب البصر تماماً .

وقد ظل الطب حتى أواخر القرن الماضي يعتبر أن سبب هذا المرض هونزول سائل أبيض ضار يسيل من المخ فيستقر في العين خلف العدسة فيحجب البصر ويصيب الإنسان بالعمى ، ومن هنا نشأت تسمية المرض بالكتاراكتا أي الشلال .

ومن عجب أن القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة قد فصل في سورة يوسف أعراض هذا المرض كما وصل إليه الطب الحديث وأسبابه حيث تقول الآية ٨٤ عن سيدنا يعقوب :

« وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » .

أما الآية ٩٣ من نفس السورة فإنها توضح كيف طلب سيدنا يوسف علاج أبيه بإلقاء قميصه على وجهه إذ تقول الآية :

« اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا » .

وقد انخفض ضغط الدم عند سيدنا يعقوب بعد أن أحس أن ابنه حي يرزق وانصرف عنه الحزن والألم وانتابته حالة من السعادة والفرح فارتد إليه البصر كما تقول الآية ٩٦ :

« فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا وصف القرآن المرض ... وأوضح أسبابه ... وقرر علاجه ... قبل الطب بعشرات المئات من السنين فارتفاع الضغط من الحزن وكثرة البكاء تسبب المرض ... وانخفاض الضغط بالسعادة والسرور تذهبه ...

البصر والبصيرة

عندما يغادر أحد النزلاء مستشفى الناقهين بكونكتكت بأمريكا يحصل على شهادة نصها « هذه شهادة بأن صاحبها قد أعد تمام الإعداد للسير في الحياة مستقلا بنفسه بأقل عون يحتاج إليه . وهو يقف اليوم على أعتاب الحياة من جديد مسلحاً بالثقة المستمدة من التدريب الخاص ومن الإبصار بلاعين » .

هذا المستشفى وأمثاله من المعاهد والمستشفيات المتعددة والموجودة في بقاع مختلفة تدرب العميان على نوع من البصر الثاني عرف منذ قديم الزمان وكان يسمى « بحاسة الكفيف السادسة » .

إن الذي يولد وقد فقد بصره يولد ومعه هذه الحاسة التي تجعله يميز الأصوات بطريقة لا يستطيعها المبصر ويحدد الأبعاد بارتداد الهواء كما لا يمكن أن يفعله من يرى ...

يقول أرلين بريثون وجون ليوثيهان إخصائيا التدريب : « ليس منا من لم يمارس أن يسير في الظلام ويحس بعقبة في الطريق قبل عثوره بها » .

لقد بدأ تدريب العميان في مستشفيات كثيرة للانتفاع بهذه الحاسة الموجودة في كل إنسان والتي بها يميز الأصوات ويحدد الأبعاد ... وهي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

التي تعين الوطاويط المعروفة بكلال البصر حتى أصبحت مضرباً للمثل المعروف « أشد عمى من الوطواط » على الطيران بسرعة فائقة بين تيه من الأسلاك الممدودة في كل اتجاه دون أن تصطدم بها حتى ولو حجبت عيونها . وقد سميت هذه الظاهرة علمياً تحت اسم علم تحديد الأمكنة بالأمواج الكهربية .

ويقول الدكتور ليفن العالم النفساني بجامعة هارفورد : « لما كان الإنسان قد ولد وفيه قليل من قدرة الوطواط على تميز الأصوات وتحديد الأبعاد كان في الوسع تنميتها بالمران حتى تؤدي إلى خير بعيد الأثر في حياة العميان ولقد تجلت اليوم آثارها الرائعة » .

لقد أصبحت قدرة الإبصار بهذه الحاسة قوية فبعضهم يحس بوجود شجرة أو جدار على بعد ٣٥ قدماً ويستطيع كثير منهم أن يحدد مواقع العقبات المنخفضة كصنابير مياه الحريق أو مستودعات الرمال أو المقاعد .

لقد أثبت اختبار الكفيفين الذين تم تدريبهم ، على أنهم في مقدرتهم على الإبصار يتساوون مع المبصرين تماماً حتى إن رجال الصناعة في أمريكا يقبلون على استخدامهم اليوم وهم يحسنون كثيراً من الأعمال الهامة كالطحن والصقل والنقش وغيرها وقلما يقع لهم حادث ...

وليس ذلك في أمريكا فقط فالآن في كل بلاد العالم انتهت خرافة أن الكفيف يعجز عن العمل .. وأصبح منهم عمالقة في كل الفنون والأعمال .. وأصبحوا يعملون ويجيدون العمل اليدوي إجادتهم العمل الذهني الذي يتفوقون فيه تفوقاً ملحوظاً . وإن الأمثال لكثيرة لا تقع تحت حصر وهذه هي هيلين كيلر التي أصبحت عمياء وصماء بعد تسعة

عشر شهراً من مولدها .. هي الآن في الخامسة والسبعين من عمرها .. أسطورة حية يتناقل الأحياء أخبارها .. ويتهافت الناس على رؤيتها .. وتتنافس الدول في تكريمها .. لقد نجحت في أداء أكثر مما تقتضيه حياتها .. تقول هذه الأعجوبة : «كثيراً ما أمتحن أصدقائي فيما يرون ... لقد سألت منذ عهد قريب صديقة عما رأت في الغابات التي تمشينا فيها طويلا فكان جوابها : (لا شيء يستحق الذكر) فسألت نفسي كيف يمكن للمرء أن يسير ساعة في الغابة ولا يرى شيئاً مستحقا الذكر ؟ فأنا الكفيفة البصر أجد مئات من الأشياء تثير اهتمامي بمجرد اللمس . فأنا أشعر بالتناسق الدقيق في شطري ورقة الشجر وأمر بيدي في حنو على غصن أملس أو لحاء خشن . وفي الربيع ألمس أغصان الأشجار وأتحسسها لعلي أقع على أكمام الزهر وهي أول علامة على يقظة الطبيعة بعد رقادها في الشتاء وإذا واتاني الحظ أضع يدي بلطف على شجرة فأحس بالرجفة اللذيذة التي تأخذ الطائر المغرد وهو في نشوة تغريده » ..

ألا نعجب بعد ذلك كيف مرت علينا الآية الشريفة ٤٦ من سورة الحج وهي تقول :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

وكنا لا نفهم ما تحويه من علوم ومعارف ؟ ..

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

إن هؤلاء الذين يفقدون البصر.. يبصرون بغيره .. أما الذين يفقدون الإحساس الداخلي فيسيرون في الأرض ويرون آيات وآيات بينات تشهد على وجود الله وقدرته ولكنهم لا يحسون بها في قلوبهم .. هؤلاء هم الذين فقدوا البصيرة ... من قلوبهم ... فمن فقد البصر لم يفقد شيئاً ومن فقد البصيرة فقد كل شيء ...

المحيض

سئل رسول الله صلى عليه وسلم عن المحيض في وقت لم يكن يعرف عنه إلا أنه إفراز داخلي للمرأة . ودليل جهل القوم به هو سؤالهم عنه فنزل القرآن ليقرر أن المحيض أذى وأمر باعتزال النساء في المحيض وألا يقرب منهن رجالهن حتى يطهرن وذلك بنص الآية ٢٢٢ من سورة البقرة إذ تقول :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » .

ولم تظهر حكمه هذه الآية على حقيقتها العلمية إلا بعد أن تقدمت علوم الصحة الوقائية .

يقول الطبيب الكبير المرحوم عبد العزيز إسماعيل : إن إفرازات الجسم على نوعين ، نوع له فائدة في الجسم كإفرازات الغدد الهاضمة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

والتناسل وكافة الإفرازات الداخلية التي تنظم أجهزة الجسم وأنسجته وهذا النوع من الإفراز ضروري للحياة وليس فيه ضرر إذا انعدم إفرازه. ونوع آخر ليس له فائدة بل بالعكس يجب إفرازه من الجسم إلى خارجه إذ أنه مواد سامة يجب أن يتخلص منها الجسم فإذا بقيت فيه أضرت به ضررًا بليغًا، بل تكاد تودي به. ومثل هذه الإفرازات البول والبراز والعرق، وأهمها الحيض.

ويقرر علم الطب أن الأنثى تولد وفي مبيضها نحو سبعين ألف حويصلة في كل حويصلة منها بويضة، وتبلغ البويضات درجة النضج عندما تصل الأنثى إلى دور البلوغ. وتنمو بويضة في كل دورة من دورات الرحم. هذه البويضة تنفصل من حويصلتها في أية ساعة فيما بين اليوم الرابع عشر والسادس عشر من ابتداء نزول الحيض. وبعد انفصال البويضة من الحويصلة تنكمش جدرانها وتنفجر بعض الأوعية الدموية نتيجة لهبوط الضغط في داخلها. وتظل البويضة داخل الرحم في انتظار إخصابها بالحيوان المنوي القادم من الذكر، وتبدأ تتكون في الحويصلة خلايا جديدة بها مادة صفراء اللون تسمى الجسم الأصفر بدلا من البويضة التي غادرتها. فإذا لم تتحد البويضة بالحيوان المنوي وينتج إخصابها، انكمش الجسم الأصفر وتآكلت خلاياه وتمزق الغشاء المبطن للرحم وهو غشاء مخاطي به أنسجة كثيرة الأوعية الدموية التي تتميز باحتقانها دائمًا، ثم ينفصل هذا الغشاء المتهلك عن الرحم، وينتج عن هذا الانفصال نزيف في الأوعية الدموية مصحوب بإفراز الغدد المتمددة مع بقايا الأنسجة المتهلكة وإفرازات الجسم الأصفر... وهذه هي مكونات الحيض، وقد اقتضت

إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخرج من المرأة وإلا قتلها عن طريق التسمم ... أفليس هذا المحيض أذى ؟ ...

أما حكمة اعتزال النساء في المحيض فإن القرآن أول مانبه إلى ذلك ، ويحدثنا العلم الحديث فيقرر أن الأعضاء التناسلية للأنثى أثناء المحيض تكون في حالة احتقان وأعصابها في حالة اضطراب بسبب إفرازات الغدد الداخلية ويصحب ذلك أعراض مرضية معينة كالصداع وآلام في الظهر وهبوط في الجسم وقد تزيد هذه الأعراض فتصبح شديدة شدة الأمراض ، فالاختلاط الجنسي في هذه الفترة يضر المرأة أكبر ضرر فربما يمنع نزول الحيض وما يترتب على ذلك معروف ، وقد يحدث اضطرابًا عصبيًا يطول علاجه ولا بد أن يسبب الاختلاط في هذه الفترة التهابًا في الأعضاء التناسلية قد يصعب علاجه ... فحالة الأنثى وقت الحيض حالة مرضية غير عادية ولذا فإن الطبيب يصعب عليه الكشف على الأنثى وقت حيضها .

وهناك ضرر بالغ للرجل إذا خالط المرأة في هذا الوقت فقد يكون بالرجل حالة من المرض لا يلاحظه كالتهاب أو خدوش أو جروح فإذا ما تلوث بإفراز الحيض كانت الكارثة ...

ويقرر علم الصحة ضرورة اغتسال المرأة بعد الحيض بعد أن قررت الآية ذلك من قبل بعشرات المئات من السنين وذلك لإزالة ما خالط جسم المرأة من الإفراز وأوساخه وميكروباته وما يسببه الحيض من عرق ، هذا من الناحية الطبية . وهناك ناحية سيكولوجية أفصح عنها التقدم العلمي وهي ضرورة الاغتسال لتبدو المرأة بعد حيضها في زينة ونظافة تبعث الرضا والسرور في نفس زوجها ... وتزيل عنه آثار ما قد يكون لاحظه من

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وعكتها أو سوء حالها ...

وقد قرر القرآن الكريم ضرورة الاغتسال من الجنابة فتقول الآية السادسة من سورة المائدة :

« وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فاطَّهَّرُوا » .

والقرآن في تقريره ضرورة الاغتسال بعد العملية الجنسية إنما سبق العلم أيضًا إذ يقول الطب الحديث إنه لما كانت هذه العملية تؤدي إلى ملاصقة الأجسام في أكثر من موضع وما يتبع ذلك من اختلاط الإفرازات التي يسبب عدم إزالتها وتطهيرها أمراضًا خطيرة منها الأمراض الجلدية على وجه الخصوص فإنه يتحتم الاغتسال بعد العملية ، كما لوحظ أن الاغتسال ينشط الدورة الدموية وينبه الأعصاب ويؤكد الطب أن الجسم يكون في أشد الحاجة إلى ذلك سواء الرجل أو المرأة وهكذا قرر الطب وأفصح عما تهدف إليه آية لا تزيد على أربعة ألفاظ قصار ضمت أصول الطب الوقائي والعلاجي .

عالم نراه وعالم لا نراه

نقرأ في أول آية من فاتحة الكتاب :

« الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ » .

ويتكرر لفظ العالمين في ٧٣ آية من آيات القرآن ... وقد اجتهد العلماء في تفسير العالمين ، فقسموا العالم إلى قسمين عالم علوي هو ما يشمل أعلى الأرض كالكواكب والأفلاك والشمس والقمر والسيارات وكل ما في السماء ، وعالم سفلي هو ما في البحر من مخلوقات وكائنات وما على الأرض من معادن ونبات وحيوان وإنسان ... ولكن هل الوجود هو هذين العالمين فقط ؟ ... وهل هذا ما قصد القرآن ؟ ...

إن التقدم في العلوم قد أثبت أن الوجود ينقسم إلى عالمين : عالم منظور وآخر غير منظور... فالأول هو كل ما يراه الإنسان سواء بعينه المجردة أم بالمجاهر والأجهزة المقربة . فكل ما في السماء وما تحت الأرض وما في قاع المحيطات وما في السحب وكل ما يمكن رؤيته بالعين إنما هو من العالم المنظور ، والعالم غير المنظور قد أصبح حقيقة لا تقبل الشك والجدل ... ويقول العلماء إن هذا العالم أوسع وأرحب من العالم المنظور وأكثر ازدحامًا ! ! ...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لقد قرر علماء الضوء أخيرًا أنه توجد أشعة غير منظورة مع الأشعة المنظورة ، وتقول أديث راسكين إننا إذا قارنا بين الأشعة المرئية والأشعة غير المرئية بدت لنا الأولى مجرد جزء صغير من الصورة الكلية للضوء ، ولذلك وجد العلم أن كلمة ضوء أو حزمة ضوئية أو إشعاع قد لا تدل على حقيقة الضوء ، لذلك فقد ظهر لفظ «الطاقة المشعة» لتدل على جميع أشكال الإشعاع سواء أكانت مرئية أم غير مرئية ... ومن الأشعة غير المرئية الأشعة السينية التي يطلق عليها «عين الإنسان الثالثة» أو «أشعة رنتجن» نسبة إلى مكتشفها ، هذه الأشعة تخترق الأشياء التي لا يمكن أن يخترقها الضوء أو تراها عيوننا وهي قوية جدًا وذات موجة قصيرة أقصر عشرة آلاف مرة من موجة الضوء المنظور ولكنها أطول قليلا من زميلتها موجات الأشعة الجيمية ... والأشعة فوق البنفسجية التي هي اطول من موجات الأشعة السينية وأقصر من موجات الضوء المرئي أشعة غير مرئية كذلك ، والأشعة دون الحمراء وهي موجات حرارية نحس بها ولا نراها ، هذه الأشعة تصل إلى الأعصاب والعضلات ، لا يحس فيها الفيلم العادي للتصوير فهي أشعة غير مرئية . وقد استخدم الإنسان هذه الأنواع من الأشعة في الكشف عن أمراضه وعلاج العسير من هذه الأمراض ... استخدمها في الغذاء ... وفي الدواء ...

وهذه موجات الراديو ، والرادار ... الذي لا يكتشف وجود الأشياء فقط ، بل يحدد مكانها بالضبط كلها موجات غير مرئية ، وغيرها كثير مازال العلم يكتشف منها في كل حين ، جديدًا ...

ولقد توصل العلم إلى اكتشاف مواد حيوية غير مرئية من أشباه الجراثيم

والميكروبات ... عرفت بآثارها الخطيرة وتميزت بتحويلات معينة كيمائية ... ولم يستطع العلم رؤيتها لا لدقتها ... ولكن لأنها غير مرئية ... وقد أطلق عليها العلم اسم «الفيرس» ... وبسبب هذا الكائن غير المنظور يمرض الإنسان والحيوان والنبات بعدة أمراض خطيرة ، فهذا الفيرس متعددة الأنواع ...

أما مكونات هذا العالم غير المنظور وما فيه فقد اجتهد بعض العلماء لدراسته وما زال موضع الدراسة الدقيقة المستمرة وكان أول من حاول هذه الدراسة الدكتور أوستي في فرنسا ولورد رالي وشارلز هوب في إنجلترا والبروفسور جوزيف سل في ألمانيا ؛ وبدأت مجلة أخبار العلم في إنجلترا تنشر ما توصل إليه العلماء في هذا الصدد من عام ١٩٤٠ ، وقد أصدر أخيرًا جيمس كوتس كتابًا عن تصوير غير المنظور.

ويقول الدكتور الطبيب أدوين فردريك باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعات أمريكا إنه قد أمضى أكثر من عشرين سنة وهو يمعن النظر طويلا ويبحث ويدقق وهو يرى اللوحات السالبة لصور الأرواح الفوتوغرافية ... أما ما يقوم به جون مايرز فهو الإقناع الذي لا يقرب إليه شك ...

إن جون مايرز طبيب أسنان إنجليزي نابه حسن السمعة ، أجريت التجارب عليه مع التحفظ الشديد ووضعت الرقابة عليه ، فكانت اللوحات الفوتوغرافية يشتريها الذي يريد رؤية التجربة ويضع اللوحة بنفسه في آلة التصوير ، ثم في وجود الوسيط الروحي وبالأشعة تحت الحمراء وعدسة الكوارتز تخرج الصورة وبها الأرواح والأشباح التي كانت موجودة ،

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكثيراً ما كان يعرف الحاضرون أرواح أقرباء لهم ... ويقول الدكتور باورز في ذلك إن مايرز لو كان سانت كلوز لما استطاع تزويد الصور الفوتوغرافية بمئات ومئات من الأرواح التي تختلف جنسياتها وأرديتها وأشكالها ...

وفي العالم غير المنظور توجد أشباح أخرى غير الأرواح ، فقد حدثتنا الأخبار العلمية التي وردت من اليابان بعد تدمير هيروشيما بالقنبلة الذرية ، كيف أن الناس رأوا أشباحًا للجسور والمباني المتهدمة تقام ثم تختفي هي ومن حولها من الناس ... وقد قال علماء ما وراء الطبيعة في تعليل ذلك إن بعض الناس أصيبوا بما يسمى بانكسار في الاهتزاز الروحي فتمكن من أن يرى عالم الأرواح بما فيه لحظات ...

وقد رأت سيدتان إنجليزيتان هما مس آن مويرلي ابنة الدكتور مويرلي الذي كان عميدًا لإحدى كليات لندن والدكتورة إلينور جوردين ابنة القس فرنسيس جوردين ... العالم غير المنظور... فبينما كانتا في زيارة للبتي تريانون في فرسايل ... توغلتا في المكان فإذا بهما تريان معالم أخرى لمباني منزرعة بها آلات زراعية قديمة ومن بينها محراث ، ووقف بها شخصان في ملابس رسمية غير معهودة ... ورأتا كوخًا قائمًا بمفرده على بابه امرأة فاتنة وبجوارها فتاة وهما بملابس طويلة ... وعلى بعد رجل على كتفيه عباءة سوداء ثقيلة وفوق رأسه قبعة مسترخية وأدار الرجل وجهه إليهما فإذا بوجهه غريب ... فيه ندوب الجدري ... وقد ضمنتا تفاصيل هذه الواقعة في كتاب باسم «حادثة» . وتم البحث فيما كتبتاه وتأكد الباحثون من أنهما رأتا البتي تريانون في عهد ماري أنطوانيت إذ رجع

الباحثون إلى البيانات التاريخية التي جمعتها الجمعية الوطنية والتي لم تفتح إلا للتحقق مما جاء في هذا الكتاب ...

وكثير من الذين يصعدون إلى أكثر من اللازم فوق جبال همالايا ، يقررون أنهم يشاهدون مناظر معينة وحيوانات وطيوراً ذات أشكال غريبة ، ولا يمكن إرجاع ذلك إلى هلاوس أو اختلال في الأعضاء الوظيفية إذ تثبت الأجهزة الطبية الدقيقة التي تصاحبهم أنهم في حالة طبيعية .

ومن الأدلة على وجود عالم غير منظور... ما يراه المحتضر قبل وفاته مما يجعله يبتسم أو يعبس ... وينادي على من يراهم من أهل مودته أو أقاربه ممن سبقوه إلى الموت ... فإذا ردت الروح في جسمه لا يرى ما كان يراه ... وغالبًا ما يكون ذلك علامة على موته ... إذ ترددت روحه بين العالمين ... المنظور وغير المنظور.

وفي كل يوم يزداد العلم معرفة بهذا العالم غير المنظور...

ويبحث العلماء الآن ما يراه بعضهم من أن العالم غير المنظور، يضم غير ما يختص به ... كالآثار التي يخلقها الاهتزاز في العالم المنظور، وقد أمكن اختراع آلة تصوير، تصور الأشياء المادية بعد غيابها عن مكانها ... فأمكن تصوير سيارة في المكان الذي كانت فيه بعد أن غادرته ... وذلك لأن الاهتزاز الخاص بها موجود ولكنه غير مرئي فباستخدام آلة تصوير خاصة بغير المنظور أمكن تصويرها ...

وهكذا يمدنا العلم الحديث بتفسير لآيات القرآن الكريم معجزة نبي الإسلام الخالدة ... أولا يكون العالمان اللذان قال بهما القرآن هما العالم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الذي نراه والعالم الذي لا نراه ... أولا يكون القرآن قد وجه النظر إلى ما وصل إليه العلماء وما زالوا يجدون في البحث فيه ولا سيما أن الآيتين ٣٨ و٣٩ من سورة الحاقة تؤكد هذا الرأي بقوله تعالى :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ » .

وحدة الخلق

لقد ظل تركيب المادة الشغل الشاغل للانسان منذ أن بدأ يبحث عن سر الوجود . فمنذ آلاف السنين والفلاسفة والعلماء يبحثون في المادة . وكان الاعتقاد أن العالم يتكون من أربعة عناصر هي الماء والنار والهواء والتراب سائداً لمدة طويلة . حتى عام خمسمائة قبل الميلاد إذ قال الفيلسوف اليوناني لوسيب : إن كل الأجسام مكونة من جزيئات متناهية في الصغر ذات حركة ذاتية تحتفظ بها أبد الدهر . وبعد ذلك بألفي عام توافرت وسائل البحث والدراسة فظهرت أبحاث ويليام هينجز ثم والتون . وقررت النتائج أن جميع المواد تتألف من عدد هائل من الذرات وأن ذرات كل مادة تختلف عن ذرات المادة الأخرى اختلافاً بينا هائلا . وأن الذرة هي أقل جزء يمكن أن يصل إليه تقسيم المادة وأنها بالغة من الصغر حدا لا تقبل معه بعد ذلك الانقسام إذ لا يزيد حجمها على جزء من عشرة بلايين من المليمتر وتبقى مع ذلك محتفظة بخواص العناصر نفسها . وحتى عام ١٨٨٠ لم يكن العالم يعرف أكثر من ٨٠ عنصراً بسيطًا يمكن أن تتمدد وتكون فيما بينها مواد مختلفة . وزادت العناصر حتى أصبحت ٩٢ عنصراً مختلف الذرات ، هذه العناصر هي بمثابة الحروف الأبجدية التي تكون اللغة فبتجمع الذرات مع بعضها يتكون جميع ما خلقه الله من نبات ، وحيوان ،

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وماء، وهواء وإنسان ، وجماد ، وسماء ، وأرض .

ثم تقدم العلم مرة أخرى ، ووثب وثبة وصل فيها إلى قمة المعرفة فقد لاحظ هنري بيكول أن أملاح عنصر اليورانيوم تطلق أشعة ذاتية تخترق ورق التصوير الأسود وتنفذ منه إلى لوحة التصوير لتترك أثرًا واضحا ، وتابع بيكول بيير كوري وزوجته ماري كوري فأثبتت الأبحاث أن طاقة الإشعاع ليست وقفًا على أملاح اليورانيوم ، وأدى ذلك إلى اكتشاف العناصر المشعة وثبت أن طاقة إشعاعها ترجع إلى تحطيم الذرات نفسها ... واتجه العلماء إلى الذرة مرة أخرى ليجدوا أصغر من الذرة وليتمكنوا من تصوير ما بداخل الذرة والوقوف على ما بها ، فثبت أن الذرة التي كان يعتقد أنها وحدة الوجود وأنها ليست قابلة للانقسام لأنها وحدة إنما تتكون من جسيمات متشابهة تمامًا وأن بها نواة تحتوي على جسيمات تحمل كهربية موجبة سميت بروتونات وحول النواة جسيمات تحمل كهرباء سالبة سميت ألكترونات . وأن عدد البروتونات يساوي حتمًا عدد الألكترونات وأنها عبارة عن جسيمات أو كهارب أو أشياء رقيقة واحدة والاختلاف فيما تحمله من كهرباء موجبة أو سالبة وأن في بعض العناصر زيادة على ذلك جسيمات متشابهة كذلك تمامًا إنما متعادلة الكهرباء سميت نيترون .

ويرجع اختلاف ذرات المعادن بعضها عن بعض باختلاف عدد الألكترونات والبروتونات الموجودة في داخل الذرة ، وتبدأ الذرات من ألكترون واحد وبروتون واحد في ذرة الإيدروجين وهي لذلك أخف الذرات وزنًا ثم يزيد العدد حتى يصل إلى ٩٢ ألكترونًا ، ٩٢ بروتونًا في

الذرة وهي ذرة اليورانيوم التي تعتبر لذلك أثقل الذرات .

وقد اعتبر اكتشاف الألكترون أكبر نصر علمي أمكن العقل البشري أن يصل إليه حتى إنهم يطلقون على هذا العصر الذي نعيش فيه الآن العصر الألكتروني ، إذ يعتبر أن هذا أروع وأهم اكتشاف تميز به عصر من العصور إذ أمكن الوصول إلى الجوهر الفرد وحدة الخلق التي منها خلق كل شيء في الوجود : الإنسان والحيوان والماء والهواء ... الحي والجماد ، والأرض والسماء فوجد أنها وحدة تناهت في الصغر إلى درجة لا يقبل الفكر أن يتمثلها فقطعة الألكترون أقل من قطعة الذرة بمائة ألف مرة أما كتلته في حالة السكون فإن الجرام الواحد يزن :

٩ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ألكترون

وإن هذه الجسيمات التي يتكون منها الوجود هي جسيمات متشابهة أي واحدة تمامًا وإن منها الموجب والسالب ، وهذه الحقيقة العلمية التي يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » .

أليست هذه هي البروتونات والإلكترونات ... الكهارب الواحدة موجبة وسالبة ... أي النفس الواحدة ... الزوجية الجنس بين موجب وسالب .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكذلك الآية الأولى من سورة النساء :

« يَـأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا » .

والآية ٩٨ من سورة الأنعام :

« وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ » .

وغيرها من الآيات التي تشير إلى وحدة الخلق .

ولقد وجد العلماء أن الكهرباء الموجبة في البروتون والسالبة في الإلكترون وتساويهما تمامًا هما السبب في بقاء الذرة وحفظ توازنها وسكونها لتعادل الكهرباء وأن أي اختلاف طفيف لا يتصوره العقل يؤدي إلى تحطيم الذرة والوجود ، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في الآية ١٨٩ من سورة الأعراف :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » .

إذًا فسبب سكون النفس الواحدة هو زوجها وهذا ما قرره العلم بالنسبة لسكون البروتون والإلكترون ... باختلافهما وتساويهما في الكهرباء .

وقد قطع القرآن قبل العلم أن هناك ما هو أصغر من الذرة وذلك حينما وصل العلم إلى أن الذرة هي أصغر ما يمكن أن يصل إليه فيقول في الآية

٩١ من سورة يونس :

« وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ » .

وبمتابعة العلماء لدراسة الذرة ومكوناتها أمكنهم الوصول إلى ما حير الألباب وأذهل العقول ... بتكوين هذا الكون والنظام الذي يحويه ... والقدرة التي يتحدث عنها . إن نواة الذرة تحتوي على ٩٩,٩ من الوزن الذري ... وقد وجد كذلك أن الشمس تحوي ٩٩,٩ من وزن المجموعة الشمسية ... فعرفوا أن النواة في الذرة هي بمثابة الشمس في المجموعة الشمسية ولوحظ كذلك أنه كما تدور الكواكب حول الشمس تدور الألكترونات حول نواة الذرة ، بل وجد ما هو أدق من ذلك فالمسافة بين الألكترونات بالنسبة لقطر الذرة معادلة تمامًا لنفس المسافة بين الكواكب وقطر مجموعة الشمس .

بل إن قوى التجاذب الناتجة من كهرباء الذرة بين البروتون الموجب والألكترون السالب ، هذه القوة التي تجعل الألكترونات تسبح حول النواة تتبع نفس المعادلات الحسابية بالضبط لقوى الجاذبية بين الشمس وكواكبها ، حتى قوى التجاذب التي تجعل الألكترونات تسبح في مدارات دائرية وبيضاوية حول نواة الذرة هي نفسها التي تجعل الكواكب تأخذ نفس المدارات في المجموعة الشمسية .

إن القوة الهدامة التي تنتج من تحطيم الذرة والتي تمثلت في القنابل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المدمرة التي عرفها البشر موجودة في الشمس بقدر يوازي ما تبلغه الشمس من أضعاف الذرة ... وهذا هو سبب الطاقة التي تمدنا الشمس بها من حرارة وضوء هما من ضمن الأدلة على قدرة الله ووحدانيته ... والقوة التي تفوق ما يمكن للعقل أن يصفه والتي تنتج من عملية ضم الكهارب والتي تسمى القوى الضامة أو البنائية والتي تتمثل في القنابل الهيدروجنية أو التي تسمى قنبلة الفناء أو قنبلة الجحيم ... هذه القوة الضامة موجودة في الشمس نتيجة انضمام أجزاء من ذرات تجعل الشمس لا تفقد من وزنها شيئًا ... فما يتمثل في الذرة ... من تنافر وتضام ... يحدث في الشمس بمضاعفات تبلغ ما عليه الشمس من أضعاف الذرة ... وما زال العلم يجد في دراسته ... بعد أن وجد أن النظام الدقيق وجد متناسبًا بين أصغر وأكبر ما وصل العلم إليه ... وإن العقل البشري الذي يدرس الآن ضرورة وجود عوالم أخرى تبلغ نسبتها إلى المجموعة الشمسية ما تبلغه المجموعة الشمسية إلى الذرة لا بد أن يؤمن إيمانًا راسخًا أن وراء هذا الكون ... الخالق المبدع الحكيم الخبير ... وأن القرآن الكريم هو وحيه سبحانه وتعالى فهو من قال بذلك الاتزان في الكون ، فالآية الثالثة من سورة الملك تقول :

« الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ » .

والآية ١٩ من سورة الحجر :

« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا

فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ » .

والاتزان الذي يراه العلماء شامل لكافة نواحي الحياة مما يحير العقول ويثير في النفوس أروع الآيات فهذا هنري بوانكاري أكبر علماء الرياضة يقول : « إن ما في العالم من انتظام واتزان لا يمكن أن يكون وليد المصادفة » أما كميل فلاماريون فيقول : « إن الله يتجلى لنا في حقيقة كل شيء فهو ليس سلطانًا يحكم من فوق السماوات بل هو نظام مستتر مهيمن على كافة الموجودات والحادثات ، وليس هو مقيمًا في جنة مكتظة بالصالحين والملائكة بل إن الفضاء اللانهائي مملوء به فهو موجود مستقر في كل نقطة من الفضاء وفي كل لحظة من الزمان . إن النظام العام في الطبيعة والحكمة البالغة المشهودة في كل شيء والوحدة التي تتجلى في أي شيء ، ككل شيء ؛ كل هذا يدل على أن القدرة المطلقة الإلهية هي النظام الحقيقي والمصدر الأصلي لكافة القوانين الطبيعية وأشكالها ومظاهرها » .

لقد أصبح النظام الذي تسير عليه حركة المجموعة الشمسية والقوة التي تتجاذب بها أفرادها علمًا يدرس ، وفي كل يوم يكشف العلماء ما يجعلهم يزدادون إيمانًا بالخالق الذي وضع الميزان لكل ما خلق ... وفي الحياة يستطيع أي مشاهد أن يلمس الاتزان الذي يظهر جليا فيما حوله .. إن زوج الذباب العادي ينتج خمسًا وعشرين مليونًا من الذباب في العام ، فكيف تكون الحال لو عاش الذباب أكثر مما يعيشه ؟ ... ولو عاش الإنسان ... أو النبات أو الحيوان ولم يجر عليه ما يجري على الأحياء من الموت ... فكيف تكون الحياة.... كيف تصير الحياة لولم يأكل الحيوان النبات ولو لم تأكل الحيوانات الكبيرة الأخرى الدنيئة ؟ ... بل كيف

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

نأخذ في التنفس الأكسجين ... ونطرد ثاني أكسيد الكربون ، وكيف يتنفس النبات والحيوان كما يتنفس الإنسان فتأخذ الأكسجين وتطرد ثاني أكسيد الكربون ... ثم كيف يأخذ النبات في عملية أخرى ثاني أكسيد الكربون ويطرد الأكسجين ... وبالرغم من عدم توازن هذه الكميات المأخوذة والمطرودة ... تظل نسبة الأكسجين ونسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو ثابتة ... كيف ؟ ... هذا هو ناتج الميزان الذي وضعه الله سبحانه لكل شيء كما قال القرآن :

« مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَاوُتٍ » .

الأرض قبل البداية وعند النهاية

لقد سبق القرآن الكريم العلم الفلكي والجيولوجي حينما قرر أن السماوات والأرض إنما كانتا قطعة واحدة وانفصلت وذلك بنص الآية ٣٠ من سورة الأنبياء التي تقول :

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » .

وقد أوضح كتاب « الله والعلم الحديث » تفصيل هذه الآية وما حوته من نظريات علمية لم تعرف إلا بتقدم الفكر في العصر الحديث ، وكذلك آيات تكوين الأرض وشكلها . ويستمر سبق القرآن للعلم حينما يتعرض إلى ماهية الأرض قبل بداية تكوينها .

إن أدق نظرية علمية وصل إليها العلم أثبتت أن الكون إنما كان سديمًا في الفضاء انفصل إلى أجزاء مكونًا الشمس والأرض والنجوم . وحاول العلم جاهدًا منذ عصوره الأولى أن يقف على سر هذا السديم وتكوينه ، فقالت بعض الآراء إن السديم إنما هو غاز مشتعل في درجة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

حرارة عالية ، ولكنها ليست إلى الدرجة التي تحول المادة إلى طاقة ، فهو في حالة ما بعد الاشتعال . وتقدمت البحوث وبتقدم طرق الكشف والتحليل ثبت أن السديم إنما هو مواد صلبة في حالة تفتت تام وظلت هذه الآراء تناقش حتى وصل العلماء أخيرًا جدًا إلى حقيقة السديم العلمية فأجمعت الآراء على أنه غاز عالق به مواد صلبة . واللفظ الوحيد الذي يمكن إطلاقه علميًا على السديم هو الدخان لأنه يحتوي الغاز والصلب . ومن عجب أن هذا ما قال به القرآن الكريم في الآية ١١ من سورة فصلت التي تصف خلق السماء والأرض وتقرر أن الأصل كان الدخان الذي منه خلقت السماء والأرض إذ تقول :

« ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَائِعِينَ » .

أما نهاية الأرض فإنه كان وسيظل موضوع الساعة الذي يرهب الأحياء ويشغل العلماء ، فقديمًا كان الرأي السائد في نهاية الأرض أن الشمس إنما تفقد على مرور الزمن حرارتها وأنه لا بد أن يأتي اليوم الذي تنتهي فيه هذه الحرارة فتموت الأرض بما عليها من أحياء حتمًا لعدم استطاعة تكوين الغذاء النباتي وفقد كل مقومات الحياة . ثم وجد أن الشمس تجدد نفسها بنفسها تلقائيًا ولا خوف إطلاقًا من هذا الفرض على الأقل لمدة لا تقل عن عدة ملايين من السنين تساوي عمر الأرض. ثم قال بعض العلماء: إن هناك احتمال سقوط الأرض في الشمس فتنتهي حرقًا، ولكن علم الفلك قرر أن هذه النظرية وإن كانت مقبولة إلا أنه ولكن يمنع

حدوثها حركة الأرض حول الشمس شأنها في ذلك شأن كافة السيارات الأخرى من أفراد المجموعة الشمسية ، وأن هذه الحركة قد روعي فيها أن تنجيها من السقوط في الشمس فهي بقدر دقيق . ثم ظهر رأي آخر يقول إن حركات الملايين التي لا حد لها من النجوم في كل الاتجاهات لا بد أن تسبب تصادم نجم أو أكثر بالأرض ، ولو حدث هذا التصادم فكارثة الأرض محققة ، ولكن وجد العلماء أن الجاذبية التي تتحكم في دوران هذه الملايين واتساع الفضاء اتساعًا يفوق ما يتخيله العقل بل لا يستطيع العقل أن يتصوره يجعل من المستحيل الأخذ بهذا الرأي ، فيقول جيمس جينز عالم الفلك الكبير عن الأرض : « إن الأرض تنسب إلى مستعمرة صغيرة تكاد تكون منعزلة انعزالا تامًا في الفضاء » ويقول عنها أيضًا : « إن موطننا في الفضاء تلك الأرض التي تبدو كرة هائلة حين تسافر فوقها ليست إلا هباءة دقيقة في الفضاء الفلكي الهائل » .

وعن اتساع الكون يقول اللورد أفبري : « وكما تعجز عقولنا عن تصوير بدء الأزل ونهاية الأبد وكذلك يعجز وعيها عن تخيل أول المكان وآخره ، وهو ملء الجهات الأربع وكل عال منه دون أعلى منه وكل تحت دونه تحت » . إن هذا يحول دون تصادم نجم بالأرض إلا إذا كان هناك احتمال تصادم مركب يسير في البحر المتوسط بآخر يسير في المحيط الهادي والمركبان يسيران متوازيين في اتجاه واحد وبسرعة واحدة .

وفي هذا العصر الحديث أمكن للعلم أن يكتشف العناصر المشعة وأن يهتدي بها في تحطيم الذرة التي تنتج عنها طاقة مدمرة وتتحرر بها بعض النيوترونات وهي كهارب متعادلة في الكهربائية وهذه تنطلق بدورها

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كالقذائف لتحطم ذرات أخرى ، وتلك بدورها تحطم غيرها بما أسماه العلماء « التفاعل المسلسل » وقد أمكن تجربة ذلك في عنصر اليورانيوم الذي سبب القنبلة الذرية .

وهناك طاقة أخرى تنتج من عملية مضادة لانشطار الذرة هي اندماج ذرتين لتكوين ذرة أثقل كما يحدث في القنبلة الهيدروجينة ومثل هذه القنبلة ما يحدث في الشمس باستمرار وهو سبب ما فيها من نار ولهيب لا ينفدان .

ومن المعروف المحقق أن الذرة تتكون من نواة بها كهارب موجبة اسمها بروتون وخارجها كهارب سالبة اسمها ألكترون . وهي متساوية تمامًا في العدد وتساويها في العدد والكهربا سبب وجودها وقد توجد بها كهارب متعادلة الكهربا اسمها نيوترون . وقد أذاعت الجهات العلمية في أواخر عام ١٩٥٥ أن لجنة الطاقة الذرية قد أعلنت أن الدكتور أيرنست لورنس قد توصل إلى اكتشاف خطير هو وجود كهارب من جنس البروتون ولكنها سالبة ، وأنها تكون طبقة حول الكرة الأرضية في طبقات الجو العليا . وأن وجود هذه الكهارب المغايرة للطبيعة أخطر ما يمكن أن يتصور العقل البشري وجوده .

وعلى ذلك فلو تحطمت ذرات من ذرة عنصر هام يدخل في تركيب كثير من المواد خطأ أو قصدًا فسينتج عن ذلك « التفاعل المسلسل » ، ولما كان الماء يدخل في تركيب كافة المواد فلو حدث أن انقسم جزءا الماء إلى شقيهما وهما الأيدروجين والأكسجين وتحطمت ذرة منهما فماذا تكون النتيجة ؟ ... إن الأيدروجين غاز مشتعل والأكسجين الطليق

يساعده على الاشتعال ... فإذا انطلقت ذرات الأكسجين أصبح الأيدروجين غازًا مشتعلا ملتهبًا ... وأصبحت بذلك في أقل من لمحة البصر مياه البحار والمحيطات والأنهار نارًا مشتعلة، وقد قال القرآن بذلك في الآيتين ٦ و٧ من سورة الطور :

« وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ » .

والآية ٦ من سورة التكوير :

« وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ » .

والآية ٣ من سورة الانفطار :

« وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ » .

وإذا ما انضمت ذرتان من ذرات الأيدروجين نتج عنهما الهليوم ونتج عن ذلك أتون مشتعل يشمل الكون وما فيه فتصبح السماء نارًا كما تقول الآية ٣٧ من سورة الرحمن :

« فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ » .

والآيتان ٨ و٩ من سورة المعارج :

« يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

والآيتان ١٥ و١٦ من نفس السورة :

« كَلَّا إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى » .

أما إذا تصادف لسبب أوآخر أن اتصل أي بروتون سالب من السماء ببروتون موجب موجود في أي ذرة والذي يكون وحدة الوجود فلا يمكن أن نتصور مدى التدمير المفاجيء الذي يشمل الكون وما فيه إذ التدمير سيكون في وحدة الخلق التي منها الإنسان والحيوان والنبات والماء والأرض والسماء ... وقد وصف القران الكريم كذلك هذه الحالة فتقول الآيات الأولى من سورة الانفطار :

« إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ » .

ومن سورة الانشقاق :

« إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ » .

ومن عجب أن يثبت العلم أن هذه الاحتمالات هي التي ستسبب نهاية الأرض وأنه إذا حدث واحد منها فلا بد من حدوث الاحتمالين الآخرين فهي سلسلة متشابكة ومتساندة ولهذا فإنهم يقولون إن نهاية

الأرض ستكون في لحظة قصيرة إذ سيكون التدمير في داخل الذرات في السماء والأرض وما فيها ، وقد قرر القرآن الكريم كذلك هذه النظرية بأن قال إن النهاية ستكون سريعة كلمح البصر أو أقل فتقول الآية ٥٠ من سورة القمر :

« وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ » .

والآية ٧٧ من سورة النحل :

« وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ » .

وقد حاول العلماء أن يوضحوا مقدار ما سيصيب الإنسان من ذلك فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى ما وصفه القرآن إذ تقول الآيات الأولى من سورة الحج :

« يَاأَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ » .

أما قدر عذاب الإنسان فتصفه الآيات ١١ و١٢ و١٣ و١٤ من سورة المعارج .

« يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ » .

والآيات ٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ من سورة عبس التي تقول :

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » .

فهل يستطيع العلماء أن يصفوا العذاب قدر ما وصف القرآن الكريم هذا العذاب الذي يفر الإنسان بسببه من أمه وأبيه وأخيه وبنيه بل يتمنى لو يفتدي العذاب بهم ... هذا وحق الله ما لا يمكن أن يوصف. فاللهم رحمتك ...

وبالنجم هم يهتدون

« قرآن كريم »

في سورة النحل عدد القرآن الكريم بعض فضل الله على عباده : فذكر منها خلقه – سبحانه وتعالى – الأنعام وفوائدها إذ يقول : الآيات ٥ . ٦ . ٧) :

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

ثم يذكر رحمة الله وفضله بإنزاله الماء من السماء لينبت الزرع فيقول :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ».

وتتوالى الآيات لتوضح لنا نعم الله فتقول :

« وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ».

« وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».

ثم يظهر القرآن للعباد نوعًا آخر من رحمة الله وفضله على الناس فيقول :

« وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ».

إذ قرر القرآن الكريم أن الجبال – فوق أنها رواس حتى لا تميد بنا

الأرض – أنها والأنهار وغيرها من السبل والطرقات علامات للناس حتى يهتدوا في طريقهم وأن النجوم كذلك يهتدي بها الناس . وليست هذه هي الآية الوحيدة التي قررت أن النجوم يهتدي بها العباد فالآية ٩٧ من سورة الأنعام وأوضحت أن النجوم جعلها الله لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر إذ تقول :

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

والقرآن بهاتين الآيتين – وقد قرر فيهما أن النجوم كأنها علامات يهتدي بها السيارة في البر والبحر – يكون قد سبق العلم بمئات السنين ... فكان المعتقد أن النجوم تهدي الناس بضوئها وأننا في الليالي غير القمرية نرى ضوء النجوم يبدد قليلا من ظلمات الليل ، إلا أن تقدم علم الفلك قد أثبت أن القرآن أول كتاب في العالم أشار إلى أهمية النجوم البالغة .

فقد أثبتت أبحاث علم الفلك أن ترتيب النجوم في السماء كان مذ خمسة آلاف سنة كما هو الآن وسيظل كما هو ، فلم تتغير النجوم حتى البعيدة جدًا وإنما تغيرت الأرض الصغيرة التي نحن عليها ، وإن آلاف السنين لا تحدث أي تغيير في ترتيب النجوم في السماء ولا تتغير فيها إلا تلك النقط التي تسمى بالسيارات طبقًا لما يدل عليه اسمها الأصلي اليوناني والذي معناه (الطوافات) وكما يقول علماء الفلك إن السيارات هي بدو السماء فليس لها عنوان كوكبي كما أن الرحالة ليس لهم في الأرض عنوان بريدي فهم كل يوم في انتقال .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكل هذه الأقسام لها دراسات تحدد مواقعها بالدقة وبالدرجا
الصحيحة . لقد أصبحت النجوم ومواقعها أهم علامات يهتدي به
الملاح في سفينته والراكب في سيارته . . . والمرتحل على دابته . . . وكم
قوافل في البحر سارت على خريطة السماء ومواقع النجوم عندما تعطلت
أجهزة بيان خط سيرها . . . وكم مسافر عبر القارات فسدت بوصلته
فرفع رأسه إلى السماء يهتدي بالنجم . . . ويشكر خالق النجم الذي
بفضله اهتدى إلى طريقه . . .

وهكذا أصبحت دراسة النجوم والفلك من أهم ما تعنى به معاهد
الملاحة وكل ما يتصل بالسفر ، وهكذا أفصح العلم الحديث بلسان صادق
أن القرآن الكريم إنما هو وحي الله الذي لا يأتيه الباطل ، وأنه تنزيل
من حكيم حميد . . . وأن القرآن عندما قال منذ ١٤٠٠ سنة أن الناس
بالنجم يهتدون في ظلمات البر والبحر إنما وجه النظر إلى علم الفلك وقبل
قبله أن النجوم لها أماكن ثابتة واتجاهات من الأفق محددة وأنها السبيل
إلى هداية الناس في سيرهم .

مواقع النجوم

إن من يشاهد النجوم ويتأملها في ليلة صافية لا بد أنه سيلاحظ أنها شيء أكبر مما كان العقل يتخيله وأروع مما كان يتصوره ، أما إذا تعمق في دراسة هذه النجوم . . . عددها . . . أبعادها . . . حركتها في سماء . . . وحركة السماء بها . . . وحركة الأرض بالنسبة لهذه جاميع . . . فإنه يجد ذلك فوق التخيل أو التصور . . .

وقد كشف التقدم في علم الفلك كذلك اختلاف ألوان النجوم . . . التي تدل على اختلاف درجات حرارتها فمنها الأحمر الداكن والأحمر القاني والبنفسجي والأصفر والأبيض . . . وكل من هذه الألوان متدرج ن الداكن إلى الضعيف بالنسبة إلى حرارة النجوم التي تتراوح بين ١٤٠° مئوية إلى ٣٩٠٠٠° مئوية .

وكذلك أمكن وزن النجوم بالنسبة إلى الشمس ، ولم يعثر حتى الآن ى نجم أصغر في وزنه من عشر وزن الشمس ، وهناك من النجوم كثرة غ وزنها ١٤٠ مرة قدر وزن الشمس .

وليست النجوم كما تبدو للعين مجموعة قد اختلط فيها الحابل بالنابل كنها كما يقول الفلكي العالمي جيمس جينز « إنها في زينتها من النظام

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ويقول حجة الفلك في العالم السير جيمس جينز إنه إذا أردنا أن نعرف مكان بيت في مدينة فإننا نسأل عن اسم الشارع الذي يحتويه ثم رقمه فبينما نرى بعض البيوت تعرف برقمها واسم الشارع فنقول إنه البيت رقم كذا بشارع كذا، فإن بعض البيوت البارزة قد يكون لها أسماء خاصة بها ... وكذلك الحال في النجوم فإن منها ما هو معروف بأسماء خاصة كالشعرى اليمانية والسماك الرامح والعيوق والنسر الواقع وهذه بارزة لشدة لمعانها ومنها ما لا يعرف إلا برقم واسم كوكبه مثل ٢٧ الكلب الأكبر وذلك بعد أن استنفد العلماء الحروف الهجائية اليونانية وهي (ا ، ب ، ج ، د ... إلخ) وحتى النجوم البارزة التي عرفت بأسماء خاصة وضعت كذلك في قائمة العناوين فالشعرى اليمانية عنوانه (أ الكلب الأكبر) والسماك الرامح (أ العواء) والعيوق (أمسك الأعنة) والنسر الواقع (أ اللورا) ... أما النجوم الضعيفة والتي لا ترى إلا بالمجاهر فقد وضعت لها قوائم توضح أماكنها من السماء بالضبط فهناك النجم (٣٥٩ ولف) ومعناه النجم رقم ٣٥٩ في قائمة الفلكي ولـف .

وقد قسمت السماء بالنسبة للنجوم إلى عشرين منطقة محددة بالنسبة للقطب وهي : « القطبية وذات الكرسي والعيوق والتوءمان والدب الأكبر والجاثي والنسر الواقع » وتسمى هذه بالمناطق الشمالية ؛ والمناطق الاستوائية تشمل « قيطس والشعرى اليمانية وقلب الأسد والسماك الرامح والطائر والفرس الأعظم » أما المناطق الجنوبية فتشمل « فم الحوت والنهر وسهيل اليمن والصليب الجنوبي والغنطورية والرامي والقطب الجنوبي » .

والإحكام فوق ما كان ينتظر وجوده » أو أن السماء كتاب صور خالد فيها قصة بعد أخرى من القصص التي تأخذ بلب الإنسان .

ويقول كتاب « نظرية السموات » إذا كانت عظمة عالم السيارات الذي لا يكاد الإنسان يحس فيه بالأرض إلا كما يحس بحبة من رمل تملأ الأفهام عجباً ، فماذا تكون دهشتنا عند منظر الحشد اللانهائي من العوالم والمجموعات التي تملأ امتداد المجرة ، ثم تأمل إلى أي حد تزداد هذه الدهشة عندما تدرك الحقيقة وهي أن كل هذه الطبقات الهائلة من العوالم النجومية ليست هي الأخرى إلا واحداً من عدد لا نعرف آخره . . . فوق ما يتصوره العقل من الاتساع .

أما مواقع النجوم وكيف وضعت في الفضاء . . . فقد كان السير وليام هرشل أول من درس مواقع النجوم فقال : إن النجوم مرتبة بحيث تشبه عجلة عربة هائلة والشمس في موضع قريب من مركز هذه العجلة ، وفرض أن النجوم التي في حافة العجلة هي المجرة ونسب اختفاء النجوم في هذا الاتجاه إلى بعدها العظيم . والأبحاث الجديدة في علم الفلك قد أيدت هذا القول فيما عدا أن الشمس ليست كما يظن في المركز ولا قريبة من المركز ، بل ربما كانت في ثلث المسافة بين المركز والحافة .

وما زال العلماء يجدون ويجتهدون في أعمق دراسة عرفها علم الفلك ألا وهي مواقع النجوم . . . والوقت الذي يتمكن فيه العلماء من فحص النجوم وتحديد مواقعها ورسم خريطة لها سيكون يوماً حاسماً في تاريخ البشرية . . . إذ يقول العالم الفلكي جيمس جينز كبير العلماء إن دراسة مواقع النجوم ستمدنا بمفتاح لأجمل منظر رأته أو تراه عين الإنسان .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وستمكننا من أن ننظر إلى السماء العجيبة المترامية فنفهم من معانيها ما لم نكن نفهم . . . وإن مواقع النجوم لو أمكن رسمها تفصيلا نعطى تفسيراً لحقيقة الكون . ألا نعلم بذلك ما هدفت إليه الآية ٧٥ من سورة الواقعة التي تقول :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » .

ثم هل تعرف معنى قول الله تعالى في الآية اللاحقة :

« وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » .

فتى نعلم ؟ . . .

إن العلماء يجدون ويجتهدون لعلهم يهتدون . . . حتى يعرفوا مدى عظمة هذا القسم . . . وحقاً إنه لعظيم . . .

الشمس والقمر بحسبان

نزل القرآن الكريم في وقت لم يكن علم الفلك قد وصل فيه إلى ما تضمنه القرآن من حقائق ، بل ظلت أبحاث علماء الفلك تتصل عدة قرون حتى اكتشفت آلات الرصد فتوصل علم الفلك بذلك إلى ما جاء به القرآن . فالعالم غاليليو عندما تمكن من اختراع التلسكوب الذي يقرب الاجسام البعيدة ثلاثين مرة ويكبر سطحها ألف مرة في عام ١٦٠٩ تمكن من الوقوف على بعض الحقائق الفلكية الهامة . فبرصد الشمس لاحظ أن بها بقعاً سوداء تتحرك من حافة القرص إلى الحافة الثانية وتختفي أسبوعين ثم تظهر فأثبت بذلك دوران الشمس حول محورها . وبرصد الكواكب الأخرى ثبت أن الأرض تدور وليست كما كان يظن أولاً أنها ساكنة . . . وأن القمر يدور كذلك وأن كلا من الشمس والقمر يدور في فلك خاص فلا يمكن لذلك أن تدرك الشمس القمر . وقبل أن يقول بذلك غاليليو ومعاونوه من العلماء بحوالي ١٠٢٩ سنة قال القرآن في الآية ٤٠ من سورة يس :

« لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ولم يكن يعرف عن الشمس أكثر من أنها جسم مضيء ملتهب يشع الضوء والحرارة ، فترسل إلى الأرض كمية من اللهب كيفما اتفق وقدر ما يتيسر . أما القمر فإنه جسم بارد ميت يعكس الضوء من الشمس . ثم بتقدم العلم عرف معنى ما تهدف إليه الآية الشريفة الخاصة من سورة الرحمن :

« الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسبَانٍ » .

وما تحويه من علوم ومعارف ، فحرارة الشمس وتوزيعها وما يفقد منها وما يصل الأرض إنما يتم بتقدير وبحساب يقوم وحده دليلا ما بعده من دليل على عظمة الخالق وقدرته وتقديره فيقول عالم الفلك الكبير جيمس جينز : « إن كل شيء في الشمس في حركة عنيفة والسطح كله هائج يغلي ويتفجر بطرق شتى ، فجوف الشمس عبارة عن مركز هائل من مراكز توليد القوة لا ينقطع له عمل والطاقة التي تتولد وتنساب في داخلها تجعلها ساخنة إلى حد مريع ونتيجة ذلك أن يندفع نحو سطحها تيار عظيم من الحرارة إذا بلغ السطح انصب إلى الفضاء شعاعاً . وأن ما يصل من الطاقة إلى كل بوصة مربعة في سطح الشمس يعادل قوة ٥٠ حصانًا ولا بدَّ لتلك البوصة المربعة من التخلص من هذه الطاقة بأية طريقة ولا يتسنى لها ذلك والسطح هادىء ساكن لذا نلفي السطح يغلي في كل مكان ، كأن الطبقات العليا تتقلب لتعرض أشد جنباتها حرارة إلى الفضاء حتى تيسر للشعاع المحبوس أن ينساب منها بسرعة أكبر . بل إن هذا غير كاف لتعريف تلك الطاقة إذ نرى هنا وهناك نافورات ضخمة من اللهب تندلع إلى علو مئات الآلاف من الأميال

فوق سطح الشمس وقد أمكن تصوير أحدها في كسوف سنة ١٩١٩ فوجد أن عرضها ٣٥٠٠٠٠ ميل وإرتفاعها ٤٧٥٠٠٠ ميل وعرف أن قطر الشمس قدر قطر الأرض ١٠٩ من المرات ومعنى هذا أن كل ميل مكعب من الأرض يقابله مليون وثلث ميل من مادة الشمس . . . ودرجة الحرارة في قلب الشمس تبلغ تسعة وعشرين مليون درجة بمقياس فهرنهيت ، أما الضغط فيبلغ ٢٦٤ مليون طن للبوصة المربعة . . . فكيف لو تركت حرارة الشمس وشأنها تصل كلها إلى الأرض . . . إن بين الشمس والأرض من الحجب وحول الشمس طبقات تجعل ما يصل إلى الأرض لا يزيد عن حوالي جزأين من مليون جزء من طاقة الشمس الكلية . . . أفليس الشمس والقمر بحسبان ؟ . . .

أما حركة الشمس والقمر فبحسبان عجيب كذلك ، فقد عرف في خلال الخمسين عاما الماضية فقط أن الشمس تندفع في طريقها الجوي غير المنظور حول مجرتنا ومعها الاسرة الشمسية بسرعة ١٧٥ ميلا في الثانية ، وفي الوقت نفسه فإنها تندفع بالنسبة للنجوم المجاورة بسرعة ١٢ ميلا في الثانية ، وأنها غير ذلك تدور حول محورها إنما بكيفية تختلف عن حالة دوران الأرض . وأن هذه الحركة الدقيقة تسبب وجود هذه المجموعة كما هي بلا حريق أو لهب وبلا انهيار أو فناء . . . أما القمر فإنه في جميع مداراته واتجاهاته لا يواجه الشمس إلا بنصفه فقط ، وإن وجوده على بعد محدد من الشمس جعل الأرض على بعدها الحالي وإلا كانت الأرض مع القمر وكان أول ما يتغير في الأرض درجة حرارتها فتصبح في النهار ٢١٤° فهرنهيتية أي بزيادة درجتين على درجة غليان الماء

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وفي الليل ٢٤٣° فهرنهيتية أي عندها يصبح الهواء سائلاً . . . فهل تتوافر بذلك الحياة لنا كما نعرفها ؟ فسبحان الله الذي جعل الشمس والقمر بحسبان .

وإن من أهم ما روعي في الشمس والقمر من حساب دقيق . . . الزمن . وقياس الزمن هو من ألزم وأهم الأمور التي تترتب عليها الحياة . وإلا فكيف تكون الحياة بلا زمن ؟ فعلاوة على ما للزمن من تأثير في تنظيم حياة الإنسان فإن الزمن هو وسيلة العلم . . . فهذه أقدم صخرة في العالم وجدت في كيستون بداكوتا في أمريكا عمرها بليون و ٤٦٠ مليون سنة وينتظر أن تلقي بأضواء على تاريخ الأرض . . . كان الزمن خير مساعد في البحث والمعرفة . وهذا عمر النبات والحيوان والإنسان أمكن بواسطته معرفة زمن كل استغلال الحياة . فرتب الإنسان حياته بأن يزرع ما يناسب وعمره ويربي من الحيوان كذلك . . . واستقرت الحياة بذلك .

والزمن الطبيعي هو عبارة عن حركة الشمس فالشروق هو شروق الشمس والظهيرة عندما تكون الشمس في أعلى نقطة في السماء أما الغروب فهو لحظة أن تغيب الشمس وراء الأفق . وما بين الشروقين أو الظهرين أو الغروبين يوم كامل أي ٢٤ ساعة . . . وأخذنا من حركة القمر حساب الشهر . . . فالفترة بين ظهور القمر مرة وظهوره مرة أخرى ٢٩ ١/٢ يوماً وهذا العدد هو الذي يحدد الشهر . وأي إنسان ينظر إلى الشمس في أي لحظة يعرف أي مدى وصل إليه في النهار – أي الساعة – ولكنه لا يعرف بها اليوم . . . فالقمر هو الذي يحدد اليوم . . . ونظرة عابرة إلى القمر تحدد في أي يوم من الشهر نحن . . . وهكذا تحدد الشمس الساعة ويحدد القمر اليوم . . .

ولقد حاول الإنسان أن يضع تقويماً زمنياً إفرنجياً لنفسه يوماً وشهراً . . . فالأرض تكمل دورانها حول الشمس في زمن يبلغ ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية . . . فعمد إلى قسمة السنة الشمسية على الشهر القمري فوجد أن الناتج لا يساوي ١٢ وهي عدة الشهور أساس حسابه الزمني فعمد إلى جعل بعض الأشهر عدتها ٣٠ يوماً وبعضها الآخر عدتها ٣١ يوماً وجعل فبراير أقل من ذلك وبتغيرين ٢٨ يوماً و ٢٩ يوماً ، وبالرغم من ذلك إذا جلس شخص أمام شاشة التليفزيون في منزله في نيويورك مثلاً في منتصف ليلة ٣١ ديسمبر فإنه يستطيع مشاهدة نيويورك وهي تحتفل بلحظة أول السنة الجديدة وبعد ساعة كاملة يستمع إلى شيكاغو فإذا بها تحتفل بلحظة العيد . وفي الساعة الثانية من صباح أول يناير تبدأ لحظة العام الجديد في أنفرس ، أما سان فرانسيسكو فتكون لحظة العام الجديد في الساعة الثالثة صباحاً وفي هونولولووهواي تبدأ في الساعة ٥,٣٠ صباحاً .

ويتبع ذلك أن المسافر بحراً يغير ساعته كل مدة إما بالتقديم أو التأخير على حسب اتجاهه شرقاً أو غرباً . ويأتي لذلك يوم قد يتناول عشاءه ماء يوم الأربعاء مثلا ثم ينام ويستيقظ في يوم الأربعاء مرة أخرى فكأنه عاش يومي أربعاء في أسبوع واحد ومن ناحية أخرى قد يذهب لينام يوم الأربعاء مساء ثم يستيقظ ليجد نفسه يوم الجمعة ويكون بذلك لم يمر عليه يوم خميس في أسبوع وذلك راجع إلى خطوط العرض واختلاف الزمن الذي وضعه الإنسان . . .

* أما زمن الشمس . . . اليومي . . . والقمر الشهري . . . فبحسبان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

دقيق ولذا فنهما نعلم عدد السنين والحساب وصدق القرآن الكريم الذي آيته الشريفة الخامسة من سورة يونس تقول :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، مَا خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْأٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

انشقاق القمر

اكتشف غاليليو في عام ١٦١٠ أن زحل محاط بثلاث طبقات دائرية تكون نوعاً من النطاق حول منتصفه . . . ثم وجد بعد ذلك أن هناك كواكب أخرى لها مثل هذه الطبقات الدائرية ، وفي عام ١٧٥٠ قال العالم رايت إن هذه الحلقات ليست إلا عدداً لا نهاية له من سيارات صغيرة تلف حوله . . . إلى أن تقدمت الآلات الفلكية ووصل العلم فيها إلى رأي قاطع فيقول حجة الفلك سير جيمس جينز في كتابه « النجوم في مسالكها » : « في عام ١٨٥٩ قال العالم ماكسويل إن هذه الحلقات من وجهة النظر العلمية أعجب الأجرام السماوية ، وقد قرر علم الفلك حديثاً أن هذه الحلقات إنما هي قطع من جسم كان يوماً ما قمراً عادياً كاملاً من أقمار زحل ودخل هذا القمر داخل منطقة خطر زحل وهي منطقة لا يدخلها جسم أصغر منه إلا ويتحطم ويتناثر إرباً إرباً . . وذلك كما مر نجم في الزمن الغابر بجوار الشمس فمزقها مكوناً أسرتها الحالية ، وكما مزقت الشمس زحل وكونت أقماره وكذلك زحل نفسه الذي مزق أقرب أقماره إليه إلى ملايين القطع الصغيرة التي كونت حلقاته » . . . ويتابع عالم الفلك المشهور جيمس جينز القول : « إذاً لامناص من أن يحدث ذلك بقمرنا في المستقبل البعيد ، ويقترب من الأرض شيئًا فشيئًا حتى يصير في

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

النهاية قريباً منها قرباً يحول بين القمر والسلامة ، وعندئذ ينفذ فيه القضاء نفسه وينشق القمر الذي يتفتت فلا يكون للأرض بعد ذلك قمر وإنما تكون كزحل محاطة بنطاق من الحلقات وهذه الحلقات ستعكس من ضوء الشمس لا أكثر مما يعكسه القمر الحالي فحسب بل سيجعل الأرض في نور البدر الكامل طول الليل وكل ليلة » .

وتتابعت أبحاث الفلك واستمرت دراسات العلماء حيناً طويلاً في هذه النظرية التي اعتبرت كأنها حقيقة بلا شك . . . واقعة . . . كما وقعت لغير الأرض . . . فعرف أن قمرنا لا يدور في مساره الذي كان يدور فيه يوم أن تكونت المجموعة الشمسية بكواكبها . . . إنما قد قرب من الأرض وأن هذا الاقتراب وإن كان يسير حثيثاً . . إلا أنه بتوالي العصور سيجعل القمر يقترب من منطقة تفوق الجاذبية منها تلك التي تجعله على بعده من الأرض الذي يحفظه . . . وإن أول علامة على دخول منطقة الخطر هو حدوث زلازل مدمرة في القمر هذه الزلازل ستزداد عنفاً . . كلما اقترب من الأرض . . . حتى يصل الحال بشدة الزلازل التي تشق القمر إلى زلزلة عنيفة دائمة تسبب انشقاقه . . وإذ انشق وتهاوى مكوناً طبقات حول الأرض كما في زحل أفلا يؤثر ذلك في جاذبية كواكب وأجرام أخرى تمسكها جاذبية القمر نفسه ؟ أولا يكون ذلك إيذاناً باختلال الجاذبيات بين الكواكب الكبيرة فتتهاوى إلى الأرض أو يسبب ذلك اختلالاً في جاذبيات الكواكب الكبيرة فتهوي الأرض إلى الشمس أو إلى مالا نعرفه أو نتصوره . . . وهلا يكون ذلك دليلاً على قيام الساعة . . . ويكون انشقاق القمر بذلك دليلاً على اقترابها ؟

أولا يكون القرآن قد سبق العلم بذلك بعدة قرون ؟ أولا يلقي ذلك بضوء على تفسير الآية الأولى من سورة القمر التي تقول :

« اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » .

أما القول بأن القصد في هذه الآية هو حادث انشقاق للقمر وقع ... فالتاريخ لم يحدثنا عن حادث وقع كهذا وانشقاق القمر حادث في الطبيعة لا يمكن أن يهمل أو لا يدون . . . فلا تذكره تواريخ الطبيعة أو الجغرافية بينما ذكرت كتب الطبيعة والتاريخ حوادث قال بها القرآن واكتشفها العلم فسطرها ودونها في أسانيده كما أن القرآن الكريم قرر صراحة أن الناس قد طلبوا آيات من سيدنا محمد ﷺ حتى يؤمنوا به وبرسالته إلا أن الله سبحانه وتعالى لم يستجب لما طلبوا . . . وجعل معجزة الرسول الأمين القرآن، فتنص سورة الإسراء على :

« وَقَالُوا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا » .

وسورة الأنعام تقول الآية ٣٧ منها :

« وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

والآية ١٠٩ تقول :

« وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْأَيَـٰتُ عِندَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ » .

والآية ٢٠٣ من سورة الأعراف :

« وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

أما الآية ٨٧ من سورة الحجر فتقرر أن الله أعطى الرسول الفاتحة والقرآن :

« وَلَقَدْ آتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » .

أما قوله اقتربت الساعة بصيغة الماضي فإننا نجد أن من ضمن بلاغة القرآن إيراده لحوادث مستقبلة بفعل ماض وذلك للتأكيد القاطع وأصبح ذلك من أدب البلاغة وذلك كالآية الأولى من سورة النحل التي تقول :

« أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » .

فالفعل ماض كفعل اقتربت ولكنه يفيد المستقبل ... إذ أن أمر الله لا ريب آت ...

وأما الآية الثانية من سورة القمر والتي نصها ...

« وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » .

فإنها تكون عند انشقاق القمر إذ سيظل بعض الكافرين على كفرهم فلا يعتبرون ... وسيقول بعض الملحدين إن هذا قد يكون من أعمال السحر فلا يهتدون بالرغم من هذه الظاهرة ... التي ستكون بعدها الساعة .

أما إذا ثبت لدى المجتهدين الذين يبحثون فيما قد يكون سطره التاريخ ولو في غير بلاد العرب من أن حادثًا قد وقع في زمن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشوهد فيه أن القمر قد انشق ظاهريًا أي انقسم نوره إلى قسمين علامة على معجزة وقتية للرسول في حينه ... فيكون من ضمن إعجاز الآية الشريفة إنها تحمل تفسيرًا عن حادث في الماضي ... ونبوءة عملية لحادث يقع في المستقبل ... والله أعلم بما أراد ...

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الاستماع إلى السماء

يعتبر علم «الفلك اللاسلكي» من أحدث العلوم التي توصل إليها التقدم الفكري في العصر الحديث وأروع ما وصل إليه العلم في القرن العشرين .

ففي إحدى ليالي صيف سنة ١٩٣٢ كان العالم كارل جانسكي جالسًا في مزرعته بنيوجيرسي في إجازة قصيرة وقد أخذ يعبث بمفاتيح جهازه اللاسلكي الذي يحمل إليه إذاعات العالم المختلفة ، فالتقط الجهاز أصواتًا غامضة وإشارات مبهمة لم يكن قد استمع إليها من قبل ... وقد لفت نظره أنه في الليلة التالية أمكن الاستماع إلى هذه الإذاعات المجهولة فظل يقضي الليالي المتتالية وهو ينصت إلى هذه الأصوات بغية أن يجد لها تفسيرًا مقبولا بعد أن تأكد أنها تخالف أصوات الأعاصير والعواصف الكهربية ومما أثار دهشته أنها دائما تأتي من نفس الاتجاه وعلى طول معين .. فهي إذاعات منتظمة الأطوال والموجات ...

وبعد مراقبة دامت أكثر من ثمانية أشهر وجد أن الصوت يأتي بانتظام مطلق إلا أنه يتقدم كل ليلة عن سابقتها بأربع دقائق إلى وقت معين في السنة ... ولما كان دوران الأرض حول الشمس يجعل النجوم تشرق

وتغرب كل يوم متقدمة أربع دقائق عن اليوم السابق ، فقد وصل جانسكي بذلك إلى أولى حقائق علم جديد أطلق عليه علم الفلك اللاسلكي وهي أن في السماء أصواتًا وإذاعات .

وعقد في نهاية عام ١٩٣٣ اجتماع ضم علماء الفلك اللاسلكي وتلا جانسكي تقريرًا عن مشاهدته قال فيه إن ما في السماء من نجوم وأفلاك تتحدث حديثًا دائمًا ، وإن هذه الاحاديث التي يمكن التقاطها بالتلسكوبات اللاسلكية تزود البشر بصورة أكثر وضوحًا للكون عما هي عليه الآن ...

وكان ذلك التقرير أول لبنة في علم الفلك اللاسلكي ... وتوالى النجاح في هذا العلم حتى رسمت أول خريطة لاسلكية للسماء في عام ١٩٤٠ .

وفي فبراير سنة ١٩٤٢ زادت الأدلة على صحة نظرية جانسكي إذ أكد العلماء صحة هذه الإذاعات عند ما عطلت سلسلة من الأصوات اللاسلكية عملية استقبال الرادار المنتظمة في إنجلترا ، وبعد محاولات شديدة من جانب العلماء للوقوف على أسباب هذا العطل وصل علماء الطبيعة إلى أن تعطيل الرادار كان بسبب إشارات لاسلكية ... وهذه الإشارات ... من المجهول وراء الأفق ... النجوم والأفلاك ...

وكان ذلك إيذانًا ببدء عهد جديد للفلك فقد سارع العلماء في مختلف الدول إلى إقامة التلسكوبات اللاسلكية في مختلف جامعات العالم وعلى رأسها كمبريدج ومانشستر وهايد وكذلك في مراصد العالم ... وقد تزعم مرصد جبل بالومار المراصد وكلها في هذا الاتجاه كما يسبقها دائمًا في

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

غيرها ... فتم تركيب اقوى تلسكوب لاسلكي في العالم يمكنه التقاط الإشارات من مسافة ثمانية آلاف مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية تبلغ حوالي ٥٧٨٥ ٣٤٣ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل على اعتبار أن سرعة الضوء هي ١٨٦ ألف ميل في الثانية أي أن هذا التليسكوب اللاسلكي يلتقط الإشارات من مسافة ٤٦ ٢٨٢ ٧٥٢ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل تقريبًا .

وقد أمكن حتى الآن التقاط أصوات خافتة من معظم الكواكب ولكن الأجهزة تتلقى إشارات قوية من الشمس والمشتري ... وتم التقاط أصوات من أشياء لم يمكن للعلم الحديث بكل إمكانيته أن يراها بعد أو يتنبأ بها ... وقد علل العلماء ذلك بأنها أشياء قد تكون بطبيعتها لا يمكن أن تراها التلسكوبات البصرية أو أنها سحب غازية ثائرة أو بقايا نجوم تتفجر أو ممرات تتصادم . وأعلن في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٨ البروفسور الفردلوفل كبير علماء الفلك في بريطانيا أنه تمكن من التقاط موجات لاسلكية عن كوكب المشتري .

وما زال العلماء يواصلون أبحاثهم في ذلك العلم الذي ينتظر أن يلقي بأضواء جديدة على هذا الكون إذ يأملون أن يتمكنوا بهذه التلسكوبات اللاسلكية أن يرصدوا بالأصوات أشياء في أماكن ... لا يستطيع العقل أن يتصور مداها ... أو مكانها ... كما ينتظر أن تصحح هذه التلسكوبات من عدد النجوم ... فإن العلماء كانوا يقولون إنه من المؤكد تقريبًا أن النجوم أكثر من ١٠٠٠٠٠ مليون ويكاد يكون من المؤكد أن هناك أكثر من ٦٠ نجمًا مقابل كل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض .

ويقول الفلكي العالمي جيمس جينز: لكي نتخيل المجموع الكلي لنجوم السماء يجب أن نتصور مكتبة ضخمة تحوي نصف مليون كتاب، فجميع حروف الطبع التي في جميع صفحات كل كتب هذه المكتبة تقارب عدد النجوم وإننا إذا كنا نطالع بسرعة صفحة في الدقيقة مدة ثماني ساعات في اليوم فلا بد لنا من ٧٠٠ سنة من العمل المتواصل لقراءة هذه المكتبة ... أما أرضنا التي نعيش عليها فهي أقل كثيرًا جدًا من نقطة فوق حرف نون أو تحت حرف باء في مكتبتنا هذه التي تضم نصف مليون مجلد ...

إن هذه التلسكوبات سوف تصحح هذا العدد فتضيف إليه ملايين أضعاف هذا العدد ... وإذا كان كل من اتصل بعلم الفلك بصلة القراءة والكتابة قد آمن بالله بعد أن استشعر جزءًا من قدرة الله في الخلق فكيف بالناس عندما يخرج علم الفلك اللاسلكي بحقائق جديدة مذهلة أشد الإذهال ... إن العلماء في محاولاتهم يجرؤون على القول بأنهم على وشك الوصول إلى حافة الكون إذا كان للكون حافة ... ويؤكدون أن عمر الكون سيمكن تقديره بهذه الإشارات والأصوات ... وهم يأملون أن يستطيعوا الوقوف على أسرار مدهشة عن هذا الكون ... وهل هو كما قال علماء الفلك السابقون آخذ في الاندثار إلى لا شيء كأنه حلم من الأحلام .. أو أنهم سيفهمون به ما يجعلهم يعجبون ويتعجبون ... وبالله ورسله يؤمنون ... ويزدادون إيمانًا ويقينا ...

وإذا اعتبرنا هذه الأصوات والاستماع إليها هي نهاية ما وصل إليه التقدم الفكري في العصر الحديث أما كان يجب علينا أن نسبق العالم فيما

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لو تدبرنا آيات القرآن الكريم ...

إن القرآن الكريم يقول من ١٤٠٠ سنة إن الجن كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ثم أراد الله لهم ألا يسمعوا فتقول الآية التاسعة من سورة الجن :

« وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا » .

فهل حاولت الجن أن تسمع إلى ذلك الذي يحاوله العلماء الآن ... ليعرفوا شيئًا عن السماء ... وخلق السماء ... وما في السماء ....

أما من يقول بأن محاولة الجن السماع إنما كانت لسماع الوحي فهذا يبطله ما تواتر من أن الوحي لا يسمعه إلا الموحى إليه شخصيًا فلم يكن يسمع الوحي إلا الرسول نفسه ولم يسمعه من بجواره ... حتى عندما كان يجيئه وهو في فراشه لم تكن تسمعه زوجته أو تدري به ... كما أن الجن كان يسمعون إلى السماء بعد نزول القرآن على الرسول بدليل آيات السورة إذ أول الآيات هو :

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا » .

وهي تفيد أنهم سمعوا القرآن بعد نزوله على الرسول واستمعوا إليه كما استمع غيرهم من الإنس إليه .

على أن الاستماع إلى السماء وما فيها ليس مقصورًا على هذه الآية ففي سورة الحجر الآية ١٨ تقول :

« إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ » .

والآية ٨ من سورة الصّافّات التي تقول :

«لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ » .

والآية ٣٨ من سورة الطور التي تقول :

« أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَٰنٍ مُبِينٍ » .

إن هذه الآيات وشبيهتها إنما هي توجيه من القرآن على ما حاولته الجن من رصد السماء وما فيها لعلها تهتدي إلى ما يزيد معرفتها بالكون ... وقد وجه القرآن النظر في أكثر من سورة إلى أن في السماء آيات للموقنين وأن في خلقها وخلق الأرض آيات كثيرة ... بل وجه الأمر صراحة إلى السماء إذ تقول الآية ١٠١ من سورة يونس :

« قُلِ ٱنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أسرار في السموات والأرض

وجه القرآن الكريم النظر إلى السموات والأرض واعتبر أن في خلقها آيات إذا ما تفكر العباد فيها فإنهم لا بد مقتنعون بوجود الله سبحانه وبقدرته ، ففي سورة آل عمران تقول الآيتان ١٩٠ و١٩١ :

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَـٰتٍ لِأُولِي الْأَلْبَـٰبِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

وطالب القرآن بالبحث والدرس في السماء وما فيها ... والأرض وما عليها إذ تنص الآية ١٠١ من سورة يونس على النظر :

« قُلِ ٱنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » .

والآيات المشابهة كثيرة ... وليس أدل على اهتمام القرآن بهذه الدراسات من أن لفظ السماء أو السموات قد تكررت في القرآن ٣١٩ مرة ...

وبعد ١٣٧٨ عامًا من دعوة القرآن نجد أن العلماء في مختلف دول العالم قد قاموا بالدعوة إلى دراسة السماوات والأرض لما فيها من مواضع جديرة بالبحث والتقصي وأن العلم والعلماء لا يعرفون عنها شيئًا بعد. فاتفق العلماء على القيام بهذه الدراسة ووضعوا برنامجًا لهذه الدراسة واصطلحوا على أن تكون السنة التي تبدأ في أول يوليو ١٩٥٧ سنة جيوفيزيقية حيث يجتمع علماء الجغرافيا والطبيعة والفلك وما فوق الطبيعة الذين يمثلون مختلف الدول لبدء هذه الدراسة ...

ولقد اجتمع عشرة آلاف عالم يمثلون ثلاثين دولة للقيام بهذه الدراسة واعتبر اجتماعهم هذا أضخم تعبئة علمية عرفت في التاريخ على وجه الإطلاق ... في هذا الاجتماع ذكر العالم ماكساريف رئيس اللجنة الحكومية السوفيتية للعلوم والفنون بأن هذه السنة الجيوفيزيقية ليست كافية للأبحاث الدولية إذ أن الغامض من أسرار الأرض والفضاء أكثر مما عرف عنها بل أكثر مما يتخيله العقل لذا يقترح أن تمتد هذه الأبحاث إلى نهاية ١٩٥٨ وهو يعتقد أن هذه السنة ستمكن العلم من القفز خطوات واسعة نحو أسرار كثيرة تحيط بنا ولم يكشف العلم عنها بعد.

وتم تنسيق وترتيب الموضوعات التي سيتم بحثها فشكلت اللجان المختلفة ووضع لكل لجنة برنامج محدد ... فهناك لجان لبحث القشرة الأرضية : سمكها ومدى تقلص قشرتها ، ومدى تغيير مواقع المدن على

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

خطوط الطول والعرض بالنسبة لهذا التقلص ... ودرجات الحرارة المشعة من القشرة والمكتسبة بها ...

وهناك لجان أخرى لبحث أسباب التيارات البحرية بعد أن اكتشف تيار مغناطيسي بين القطبين يتجمع عند خط الاستواء ، ويحتمل أن تكون له صلة بالتيارات البحرية واتجاهاتها والأمواج وشدتها . ولجان مماثلة لدراسة أسباب العواصف والأعاصير والأنواء .

كما شكلت لجان لبحث تأثير البقع والانفجارات التي تحدث على سطح الشمس في الظواهر الجوية الأرضية والعواصف المغناطيسية في الأرض .

ومن أهم اللجان المشكلة تلك التي وكل إليها دراسة أعماق البحار وصلة ذلك بالزلازل والبراكين ومنها لجان فرعية لدراسة أسباب الزلازل ومدى تأثيرها والمؤثرات على هذه الزلازل .

وهناك لجان أخرى ستدرس الطبقات الجليدية التي تكونت فوق القطبين الجنوبي والشمالي من ملايين السنين وما طرأ عليها واكتشاف مافي القطبين من معادن أوآثار تدل على ما كان عليه القطبان .

ولعل أهم اللجان تلك التي تكونت لتدرس طبقة « الأيونوسفير » وهي الطبقة التي تلي الطبقة الهوائية التي حول الأرض مباشرة وهذه الطبقة تتأثر بتقلبات أحوال سطح الشمس وتؤثر بدورها في المواصلات اللاسلكية .

أما ما فوق هذه الطبقة فإن ذلك أهم ما يوجه إليه العلماء عنايتهم فقد كان المنتظر أن تشكل اللجان التي تبحث أمر الفضاء بعد أن تصل إليها

معلومات اللجان التي تبحث في الطبقة الأولى بعد غلاف الأرضَ ولكن الجمعية لم تستطع الانتظار فإن اللجنة الفرعية لقسم الصواريخ الصناعية للجمعية السوفيتية أوصت بإطلاق سفينة جوية تنطلق إلى الفضاء وهدفها البحث والتقصي في أسرار السماء ما هي ... وما فيها ... والكواكب الأخرى ... واحتمال الحياة فيها ... والأحياء في هذه الأجرام والكواكب ... أي نوع من الحياة يحيونه ... فاحتمال أن هناك أحياء احتمال كبير وأما أن حياتهم تشبه حياتنا فاحتمال قليل ... فياترى ما شكلهم ؟ ... وهل يتنفسون ؟ ... وأي غاز يستنشقون ؟ وهل يأكلون .. ويشربون ؛ ... وكيف نموهم ؟ ... وحركتهم ... وحياتهم ... ونومهم.. ومماتهم ... وما هم ...

وقد تم تشكيل أقسام فرعية لهذه اللجان تقسمت البرامج عليهم ... هذه التعبئة العلمية الأولى التي قوامها عشرة آلاف عالم اجتمعوا ... ليحققوا ... ويدرسوا ... وليخرجوا على الناس بنتائج دراساتهم التي ستكون مبعث هداية إلى الله سبحانه وتعالى إذ ستظهر عظمة الخالق في خلقه ...

وقد بلغت نفقات السنة الجيوفيزيقية حتى نهاية ١٩٥٨ ٧٥٠ مليون دولار ، وقد أصدرت اللجنة العامة بيانًا جاء فيه أن السنة الجيوفيزيقية قد حققت أعظم مجهود بذل في التاريخ لبحث أحوال الكرة الأرضية وظواهرها الطبيعية وعكف العلماء لذلك على أبحاث مضنية ... وصعدوا من أجل ذلك فوق الجبال وحفروا التربة وركبوا السفن وطاروا في الجو وغاصوا في الماء ... وحتى الآن والى الغد ... الغد البعيد ... الى الآف

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

السنين القادمة لن يكون الشغل الشاغل للإنسان الّا دراسة اعماق المحيطات ... وباطن الارض ... ودراسة اعالي السماوات والتنقل باجهزته الميكانيكة بين الكواكب ... التي لا يستطيع الوصول اليها بنفسه ..

وسيواصل العلماء في كل مكان فحص وتطبيق النتائج التي يحصلون عليها لكي يضيفوا إلى معارفهم العلم بأسرار الكوكب الذي نعيش عليه .

وللمسلمين أن يحمدوا ربهم إذ أرسل إليهم رسولا أوحي إليه من أربعة عشر قرنًا ما تكاتفت الدول على اختلافها لبحثه ودرسه وصدق الله العظيم الذي يقول :

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ » .

حياة وأحياء في السماء

في كتاب «الله والعلم الحديث» وتحت عنوان «سكنى الكواكب» أوضحت أن القرآن الكريم هو أول كتاب تعرض لوجود الأحياء في السماوات ؛ وهو يقرر ذلك من أربعة عشر قرنًا. مع أن العلم ما زال يجد في البحث في هذه الناحية.

وبعد أن صدر الكتاب بدأت الأخبار تتواتر لتؤيد هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم ، فبعد أن تم رصد المريخ في أواخر عام ١٩٥٦ حيث كان أقرب ما يكون إلى الأرض إذ لم يكن يفصله عنها سوى ٥٦ مليون كيلومتر وهذا لا يحدث سوى مرة واحدة كل سبعة عشر عامًا ... قررت نتائج الرصد التي حصل عليها كل من مرصد خاركوف وقسم الفلك التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية أنه ظهرت بقع بيضاء في المنطقة القطبية للنصف الجنوبي للمريخ وظلت عدة أيام واضحة ثم اختفت. ودلت هذه البقع على هطول كميات وافرة من الثلج ... الثلج الذي لابد أن يتحول إلى ماء ...

ومن أهم ما لوحظ عند مراقبة المريخ كذلك ، وجود حافة محددة المعالم حول الغطاء الجليدي الذي يغطي القطب الجنوبي ، وهذه الحافة كانت موضع رقابة متواصلة ودقيقة إذ أنها تتميز عن غيرها بلون بني أو

حياة أخرى في السماء

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بني مشوب بحمرة وعندما يبتدىء الغطاء الجليدي في الذوبان يتغير لون هذه الحافة إلى الرمادي المشرب بالزرقة أو الخضرة ... وقد وضع العالم تيمنوف عضو أكاديمية العلوم السوفيتية تقريرًا دلل فيه على وجود نباتات في المريخ وأنه قد ثبت وجود حياة نباتية في هذا الكوكب .

وفي منتصف ١٩٥٧ أذيع أن رجال البوليس الفرنسي قد وجدوا في شمال فرنسا كتلا من مادة تشبه المادة البركانية السوداء وأنها كانت في نهاية آثار واضحة في الطريق ، وقال القرويون في هذه المنطقة إنها نتيجة مرور طبق طائر نزل إلى الأرض في الليلة السابقة وعليه أربعة أشياء متحركة وأفضى ميشيل سيكيت إلى رجال التحقيق بأنه كان متجهًا إلى داره بعد منتصف الليل حين بهرت عينيه قذيفة غريبة فاختبأ وراء أحد أعمدة أسلاك البرق فرأى طبقًا طائرًا يهبط ومحركاته تزمجر وأضواء غريبة تشع ، خلفها مخلوقات صغار الأجسام غير واضحي المعالم ... فصاح ميشيل واتجه بكل سرعته صوب محطة السكة الحديد ... وقرر خفير المحطة وزوجته أنهم على صوت صراخ ميشيل انتبهوا وخرجوا من المبنى ليروا الطبق الطائر والمخلوقات الصغيرة ... وفي لحظة خاطفة اختفى الطبق ومن فيه ... وهناك حوادث تعددت وأصبحت عشرات في كافة البلاد كلها تلتقي عند وجود أشياء غامضة ... لم يمكن تفسيرها ...

ويستند الفلكيون في قرارهم بوجود حياة وأحياء في المريخ على أن ظروفه الجوية تقارب ظروف الأرض ... فكل مقومات الحياة التي نعرفها على الأرض ومستلزماتها متوافرة في المريخ بل في الكواكب التي تقع على بعد مقارب من بعد الأرض ... أما الكواكب التي تقرب من

الشمس أو تبعد عنها فقد قال الفلكيون إنها كواكب ميتة إذ أن الظروف التي يمكن العيش معها لا تتوافر.

ولقد أعلن العالم الامريكي هارولد مازوريسكي من وكالة المساحة الجيولوجية الامريكية في اوائل عام ١٩٧٢ أن هناك الآن براهين جديدة ارسلتها مركبة الفضاء الامريكية مارينر ٩ تؤيد الرأي القائل بوجود شكل من اشكال الحياة على سطح الكوكب الأحمر... وتتابع النشرة العلمية القول «ولقد اعتمد مازوريسكي في قوله هذا على الصور التلفزيونية والمعلومات التي ارسلتها الأجهزة العلمية من المركبة والتي تؤيد وجود الانهار والثلاجات والماء ... وكذلك اكتشفت المركبة وجود براكين على سطح المريخ لا تخطئها العين وهكذا فان المريخ ليس ميتا مثل القمر... إنه جرم ديناميكي سار عبر تطور عمليتين ... واحدة جيولوجية والثانية جغرافية ...»

وحتى الكواكب التي يطلق عليها العلماء اسم الكواكب الميتة اي التي لا توجد عليها حياة حاليا ... لم تخلق أصلا ميتة ... وانما كانت فيها يوما ما ... منذ عدة ملايين أو بضعة الآف من السنين حياة ثم انتهت ... وبعضها قد يكون يعد الآن ... لمولد حياة جديدة عليها ...

واهتمام العلماء في هذه الناحية إنما ينصب على الحياة التي نألفها على وجه الأرض فهل يمكن أن توجد حياة في ظروف تغاير ظروف الأرض؟... إن الإنسان يعلم بتجاربه على نفسه أنه لا بد للحياة من وجود الهواء. وأن تكون درجة حرارة الجو المحيط به بما يتناسب ودرجة حرارته التي تبلغ ٣٧ درجة مئوية ... فما بالنا بالسمك ؟ ... إنه يعيش في الماء ولو

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

خرج إلى الهواء لمات ... وحيوانات المناطق المتجمدة لو انتقلت إلى الحرارة العالية في منطقة خط الاستواء لماتت ... ألا يمكن أن يكون هناك – قياساً على ذلك – حياة بلا هواء مثلا ... لأحياء يسكنون في الكواكب التي ثبت أن جوها خال من الهواء ... وإذا كانت درجة حرارة الكائن الحي مثلا ١٠٠٠ درجة مئوية ألا يمكنه بذلك أن يعيش في كواكب تقرب من الشمس ... ولماذا نتخيل أن الكائنات الحية في الكواكب ستكون ذات أنف وعين وأذن وفم ويد وقدم ... إن الكائن تتلاءم أعضاؤه مع حاجاته المعيشية ... فقد يكون العيش في الكواكب لا يحتاج إلى سمع ... أو هواء ... أو غذاء عن طريق الفم فلا توجد الأعضاء الخاصة بهذه الحواس ... أولماذا لا يوجد الكائن وينقسم مثلا ... ويكون نمو خلاياه وانقسامها عن عنصر معين يوجد في جو الكوكب ... هذا إن كان الكائن الحي يتكاثر بانقسام خلاياه ... أو حتى إن كان له خلايا ... فلا بد أن تكون الكائنات في الكواكب على شكل يتناسب وظروف المعيشة وبأعضاء تؤهلها أن تحيا الحياة التي كتبها الله لها ...

هذا وقد أصدر العالمان الروسيان أو بارين وفسنكوف كتاباً عنوانه «الكون» بحثا فيه موضوع الكواكب الأخرى وهل فيها حياة ، وذلك على أثر الأبحاث التي قام بها علماء الفلك والكيمياء والفضاء الكوني وعلى رأسهم العالم أمبارتسوميان وشاين . ويقول الكتاب إنه بعد عدد لا يحصى من التجارب ثبت أن الحياة لا تنتقل من كوكب إلى آخر وإنما تتولد من جديد وبشكل جديد يتفق مع ظروف كل كوكب وأن نشأة الحياة لم تكن مجرد مصادفة وأن هناك كثيراً من الكواكب المسكونة

في هذا الكون. ويقول الكتاب كذلك إن الوقت الذي ينطلق فيه المستكشفون من الأرض إلى أعماق الفضاء بات قريباً وإننا سنرى في الكواكب عوالم خفية فيها أشكال الحياة العجيبة تتنفس وتتطور وتتجه دائماً نحو الكمال.

وفي ٣١ يناير ١٩٧١ نشرت جريدة الاهرام بحثا علميا تحت عنوان «الباحثون عن الحياة فوق الكواكب» جاء فيه :

حمل عالم امريكي – استاذ في جامعة بنسلفانيا – هو البروفسور روبرت جنجنجاك الى القاهرة هذا الاسبوع مقدمات نبأ قد يكون أكثر اثارة من هبوط الانسان على القمر.

قال انه شهد مع العلماء الانجليز في مرصد جودريك قبل ان يجيء الى القاهرة عملية التقطوا فيها اشارة صوتية «موجهة» من الفضاء الخارجي، يعتقدون انها صادرة من كائنات عاقلة تعيش خارج الكون فوق أحد الكواكب الشمسية البعيدة وتقول ما نصه : «نحن هنا ... فمن انتم ؟ ! ».

ولا احد – كما يقول العالم الامريكي – يعرف حتى الآن من أين جاءت هذه الاشارة الصوتية ؟ وأي نوع من الكائنات الحية العاقلة ... ارسلتها ؟ كذلك فان الاعلان عنها ينتظر عدة تحليلات معقدة تقوم بها الان العقول الألكترونية.

هل يمكن ان نقول ان ما جرى في الاسبوع الماضي من حصول علماء مرصد جودريك في لندن على هذه الاشارة الصوتية المثيرة القادمة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

من عند كائنات عاقلة تسكن احد الكواكب البعيدة عنا ، هو أول اتصال في التاريخ الانساني بين الانسان على الارض وبين هذه الكائنات العاقلة صاحبة الاشارة في الفضاء الخارجي ؟

والجواب للبروفسور جنجنجاك !

« هو أول اتصال من جانبهم هم ... وليس من جانبنا ، أي انه اتصال من جانب واحد ... من جانب كائنات عاقلة لا نعرف عنها شيئا تعيش على أحد كواكب المجموعة الشمسية البعيدة جدا عنا ... وقد تكون الاشارة الصوتية الاخيرة التي التقطها مرصد جودريك ردا على الاشارات الصوتية التي يرسلها العلماء الى الفضاء الخارجي طوال ٢٤ ساعة في اليوم الواحد منذ خمسة عشر عاما حتى اليوم ، ونعني بهم علماء مرصد جودريك انفسهم .

بقي أن يقول العلم كلمته

وعلى اي حال فان أحدًا لا يستطيع ان يجزم على وجه اليقين بحقيقة ما حدث الا بعد ان يقول العلم كلمته ، وكلمة العلم هنا هي الاخيرة ، وأعني بها تفسير العقل الالكتروني للاشارة الصوتية التي التقطها العلماء من الفضاء الخارجي .

وهل استمعت الى الاشارة الصوتية بأذنيك !

– استمعت الى تسجيل لها ... وهي من نوع الـ « بيب ... بيب ... بيب » ولكن بتردد معين يفهمه العلماء والاشارة ذات تردد صوتي جديد كل الجدة على آذان العلماء ...

الا يمكن ان تكون هذه الاشارة صادرة من أحد الاقمار الصناعية التي تدور في فلك الأرض بالمئات أو من أحد الصواريخ والمركبات الفضائية المسافرة في الفضاء الخارجي ؟

– بالتأكيد .. لا .. كل قمر وكل مركبة فضائية ترسل اشارات معينة ذات موجات خاصة يعرفها العلماء تماما أقول لك ان هذه الأشارة غريبة للغاية على آذان العلماء المدربة .. قد لا تتصور مثلا ان الحركة الطبيعية للكواكب في الفضاء الخارجي تعطي اشارات منتظمة يسجلها العلماء على الارض بانتظام ولكل اشارة تفسير معين لديهم .. ومن ثم فان لديهم حاسية بالغة لاي نوع من الاشارات ولذلك عندما استمعوا الى الاشارة القادمة من الفضاء الخارجي اكتشفوا انها اشارة قادمة من كائنات عاقلة – غير الانسان – تعيش فوق أحد الكواكب البعيدة عن الأرض .

ينصتون لهمسات الفضاء منذ ١٥ عاما !

ويصمت بروفسور جنجنجاك بضع لحظات ثم يضيف في حماسة : «ان مرصد جودريك في لندن ليس وحده الذي حاول علماؤه الاتصال بالكائنات العاقلة فوق الكواكب البعيدة .. ان هناك مرصدين آخرين يفعلان نفس الشيء وان اختلفت الوسيلة .. واحد في بورتوريكو والثاني في كلورادو .. مرصد جودريك يجلس فيه العلماء منذ خمسة عشر عاما ينصتون وفوق آذانهم احدث الاجهزة اللاقطة لكل همسة او حركة تجري في الفضاء الخارجي لتسجيلها والتقاطها .. بعد ان افترضوا أن ثمة كائنات حية عاقلة غير الانسان – تعيش فوق الكواكب البعيدة التي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لم يصل اليها انسان ولن يصل اليها قبل الف عام على الاقل : – وأن على الأنسان ان يحاول الاتصال بها عن طريق ارسال اشارات صوتية طوال ٢٤ ساعة على موجات معينة وبترددات معينة .. والانصات في نفس الوقت للاشارات التي لا بد وان الكائنات العاقلة لو كانت قد وصلت الى المستوى العلمي والحضاري الذي وصل اليه الانسان فسوف تحاول الاتصال به بالاشارات طبعا . وبعد خمسة عشر عاما من الانتظار نجح علماء مرصد جودريك في التقاط الاشارة الغريبة والتي لا تعني أكثر من ان كائنات عاقلة – مثل الانسان – تحاول الاتصال بنا .. وعندما لم يتوصل علماء مرصد جودريك الى تفسير علمي للاشارة ، دفعوا بها الى العقل الاليكتروني . وقد تركت العلماء الانجليز وهم يضعون الاشارة القادمة من الفضاء الخارجي مع نماذج من الاشارات التي يرسلونها كل يوم الى الفضاء الخارجي داخل العقل الاليكتروني كي يحسب حساباته ، ويعطيهم تفسيرا علميا معقولا للاشارة القادمة من خارج الكون .. صحيح أن نتيجة هذه المحاولة لم تظهر بعد .. ولكني أشك في امكان توصل العقل الالكتروني الى تفسير للاشارة .. لاعتبارات علمية معقدة غاية التعقيد ، في مقدمتها ان الحياة على الكواكب الاخرى – ان وجدت – فهي حياة تختلف تماما عن الحياة نفسها على الارض .. وبالتالي فان الاحياء مع هذه الكواكب غير الاحياء على كوكب الارض وبالتالي فان علومهم وحساباتهم وتطورهم الحضاري والعلمي غير ذلك الذي نشاهده على الارض . ربما كانوا اكثر تقدما وربما كانوا أكثر تخلفا !

كائنات حية تعيش في لهيب الشمس

ولكن ما هي مهمة المرصدين الآخرين في بورتوريكو وفي كلورادو؟

– مرصد بورتوريكو وهو من أحدث مراصد الدنيا وهو يتحرك على قاعدة تسمح بحركة الاجهزة العلمية حركة كاملة طول الوقت وأجهزة تلتقط من أي مكان خارج الغلاف الجوي للارض اية أصوات أو أشارات صوتية وضوئية وتركزها في «بؤرة خاصة» في المرصد، وهذا المرصد لا تفوته صغيرة أو كبيرة مما يحدث في الفضاء الخارجي، ولكن مهمة هذا المرصد الضخم للاستماع فقط للاشارات القادمة من خارج الارض وليس من مهمته ارسال أي اشارات !

أما مرصد كلورادو فهو موجه إلى الشمس فقط . . ويوجه العلماء فيه أجهزتهم اللاقطة إلى كوكب الشمس وحده ويستمعون اليها طول الوقت . . لاعتقادهم أنه يوجد داخل هذا الكوكب الملتهب نوع من أنواع الحياة . . تتمثل في كائنات حية تستطيع الحياة وسط لهيب الشمس ! !

لسنا وحدنا في هذا الكون !

ويسأله الدكتور البهي عيسوي . . الخبير الجيولوجي المصري : ان كل حديثك يؤكد اننا لسنا وحدنا الذين نعيش في هذا الكون ، فهل ثبت بالتأكيد وجود أحياء من أي نوع فوق كواكب أخرى غير الأرض ؟

يقول البروفسور جنجنجاك بعد لحظات من التفكير : « بالتأكيد . .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لم يثبت حتى الآن وجود أحياء عاقلة فوق كواكب أخرى غير الأرض . . حتى الإشارة الصوتية الأخيرة لا تعتبر دليلا علمياً يقطع بوجود كائنات حية عاقلة تعيش فوق كوكب ما من كواكب المجموعة الشمسية . . فان العلم لم يقل بعد كلمته الأخيرة هنا . . . ولكنه بالتفكير وبالشواهد العلمية العامة وبالنظرة الحيادية البحتة للحياة والانسان فان هناك حياة هي في الغالب ليست مثل الحياة التي عندنا على الأرض . . . فليس من العقل في شيء ان ندعي اننا وحدنا سكان هذا الكون الواسع الغامض . .

وكما نشأت الحياة على الأرض يمكن أيضًا أن تنشأ على كواكب أخرى غير الأرض !

كيف !

لقد نشأت الحياة على الأرض نتيجة تفاعلات كيماوية معقدة كان ذلك منذ نحو ٣٢٠٠ مليون سنة عندما خرجت إلى الحياة الخلية الواحدة . . ولقد عرف العلماء أن الحياة على الأرض بدأت منذ ذلك التاريخ البعيد عندما عثروا على « بقايا كربونية » في « الطفلة » وهي نوع من الصخور في كل من جنوب أفريقيا وكندا . . وهذه البقايا الكربونية التي وجدناها محفوظة في الصخور دليل على انها كانت موجودة ثم حل محلها الصخر بعد أن تحللت وقد تم تحديد عمر هذه البقايا الكربونية بواسطة اليورانيوم المشع وقد عثرنا عليها على شكل عناقيد ذات نظام معين . . وهذه البقايا كانت في يوم ما منذ ٣٢٠٠ مليون سنة خلايا حية أصبحت بعد هذا العمر الطويل جدا مجرد بقايا كربونية متحللة داخل الصخور . .

اننا نعيش على الأرض ونفكر في حياتنا عليها على انها جاءت نتيجة لتجمع مواد « هيدروكربونية » واننا نحسب أيامنا هنا بالسنين والشهور والأيام والدقائق ونزن الأشياء بالكيلو جرام ونقيس الأطوال بالكيلومتر . . لماذا لا نتخيل اذن تفاعلات كيمائية من نوع آخر فوق أحد الكواكب الأخرى – غير الأرض – ليست تفاعلات « هيدروكربونية » . . والعلماء يقولون هنا انه من الممكن أن تكون التفاعلات الكيميائية التي حدثت فوق الكواكب الأخرى تفاعلات « سيلسية »

ربما جبل حي يتحرك ويشعر ! !

ويفسر الدكتور عيسوي حديث بروفسور جنجنجاك بقوله :

ان التفاعلات السيلسية معناها تفاعل حبات الرمل مع بعضها البعض وهي تفاعلات أكثر تعقيداً من تفاعلات الأحماض الامينية التي تحدث بالنسبة للأحياء على الأرض نبات أو حيوان أو إنسان .. انه إذا كانت التفاعلات السيلسية تنتج أحياء فانه من الممكن ان نجد فوق أحد الكواكب أنواعاً غريبة من الأحياء . . مثل « جبل حي يتحرك ويشعر أو « زلطة » حية تتحرك وتجري – ! ! – كذلك فان حجم الكائن الحي قد يكون أكبر من الكائنات المعروفة على الأرض وقد يكون أصغر بكثير . . وبالنسبة للزمن فاذا كان عمر الكائن الحي فوق الأرض اذا كان انساناً نحو ٦٠ عاماً فان هذا العمر قد يتضاعف فوق كوكب من الكواكب البعيدة إلى ٦٠٠ عام أو ٦٠٠٠ عام وقد ينكمش إلى ٦ دقائق أو ٦ ثوان لا غير !

ويعود البروفسور جنجنجاك إلى حديثه فيقول : ما هو معنى الحياة

http://dvd4arab.com/vb/dvd-al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

في نظرنا . . نأكل ونشرب ونكبر ونتناسل ونموت . . لقد أثبت العلماء أخيراً أنه حتى الجماد يعيش أيضاً . . فان بعض الجزئيات داخل المواد الجامدة تعيش واحدا على ٢٠٠٠ من الثانية أو أقل أو أكثر ثم تموت ! ان علم الأحياء يقول لنا ان معنى الحياة أن نكبر ونتناسل ونموت ونستجيب للمؤثرات الخارجية مثل البرد والحر والخوف والألم . . ولقد أثبت العلم أن البللورات تتحرك تكبر وتصغر وتتأثر بالحرارة والبرد . . . اذن فهي تعيش نوعاً من الحياة أو جزءا منها . . ولا بد أنه توجد أنواع من الأحياء فوق الكواكب الأخرى ولكن بصورة تختلف عما نعرفه على الأرض ، نحن نعرف هنا النبات الحي والحيوان قطا كان أو فأراً ثم الطيور والأسماك والانسان . . وفي الكواكب الأخرى ثمة احتمال قوي بأن يكون فوق كل واحد منها نوع واحد فقط من الأحياء وليس كما على الأرض .

ان الكائنات الحية العاقلة هي تلك التي يجلس العلماء خلف مراصد جودريك وبورتوريكو وكلورادو من أجل محاولة الاتصال بها فوق الكواكب البعيدة وليس هدفهم الكائنات الحية البدائية التي يحتمل العثور عليها فوق الكواكب القريبة مثل المريخ .

كل أسرار المريخ تتكشف !

وهل توجد حياة من أي نوع فوق المريخ ؟

يقول العالم الأمريكي ، « من المؤكد انه توجد أنواع من الأحياء فوق كوكب المريخ ولقد قمت بدراسة مجموعة الصور التي أرسلتها مركبة

الفضاء الأمريكية التي تدور الآن في فلك المريخ وقد قمت بتحليل هذه الصور بطريقة «التحليل الطيفي» وقد توصلت إلى أكثر من حقيقة :

١ – ان جو المريخ يشبه جو الأرض .

٢ – انه توجد عليه مجموعة من الظواهر الطبيعية مثل تلك التي عثرنا عليها فوق القمر مثل البراكين والجبال والوديان وغيرها .

٣ – الرياح تنتشر بشدة فوق سطح المريخ – بعكس القمر الذي لا توجد فوقه رياح بالمرة – وقد وجدنا كثبانا رملية فوقها آثار الرياح وتعريتها .

٤ – سمك الغلاف الجوي للمريخ رفيع جداً وليس مثل الأرض . . ولذلك تسهل حركة الرياح فوق المريخ .

٥ – عثرنا على الماء فوق المريخ بكميات قليلة جداً .

٦ – جو المريخ بارد جداً . . ويوجد فوقه غازات الميثان والنشادر وأوكسيد الكربون والاوكسوجين .

٧ – وتوجد فوقه براكين حية تنفث الحمم من باطنها ! !

وكل هذه الحقائق تؤكد اننا لو نزلنا فوق سطح المريخ سنجد حياة من أي نوع فوق هذا الكوكب الغامض . . ولكن العلماء يهمهم – بالدرجة الأولى – العثور على كائنات عاقلة وصلت إلى مستوى من الذكاء يسمح لها بالتفكير بان هناك من حولها كواكب أخرى يعيش عليها كائنات عاقلة ذكية مثلها وتحاول الاتصال بها . . وهي نفس ما يفعله العلماء

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فوق الأرض من خلف مراصد جودريك وبورتوريكو وكلورادو !

هدفهم كائنات عاقلة فوق الكواكب الشمسية !

اذن فمعنى ذلك فانه ليس ثمة احتمال بوجود كائنات عاقلة ذكية فوق الكواكب القريبة نسبياً مثل المريخ والزهرة وغيرها وان الاحتمال الوحيد القائم أن نعثر على أحياء عاقلة فوق كواكب المجموعة الشمسية .

– هذا صواب .

– ولكن كواكب المجموعة الشمسية تبعد عن الأرض ملايين الملايين من السنوات الضوئية ، فكيف يمكن أن تصل اشارة منها إلى الأرض ؟ وكم تقطع في طريقها من السنوات ونفس الشيء بالنسبة للاشارات التي يرسلها علماء مرصد جودريك إلى هذه الكواكب البعيدة ؟

ويمسك بروفوسير جنجنجاك بورقة وقلم وأخذ يحسب عدة عمليات حسابية ثم قال : « ان سرعة الضوء في الثانية الواحدة . ٣٠٠ ألف كيلو متر وإذا قلنا مثلا ان أحد كواكب المجموعة الشمسية يبعد عن الأرض بمسافة ثلاث سنوات ضوئية فانه لحساب المسافة بينه وبين الأرض « المسافة التي تقطعها الإشارة سواء كانت قادمة منه أو ذاهبة اليه» فانه ينبغي علينا أن نضرب الـ٣٠٠ ألف كيلومتر × ٦٠ [للدقيقة] × ٦٠ [للساعة] × ٢٤ [لليوم] × ٣٦٥ [للسنة] × ٣ [لحساب الثلاث سنوات ضوئية] = المسافة الحقيقية بين هذا الكوكب والأرض وهو رقم خرافي !

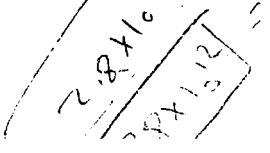

قد يكون الآن ميت من الفضاء !

ولذلك فان الإشارة التي يعتقد العلماء انها قادمة من أحد هذه الكواكب قد تكون مرسلة من هناك منذ نحو ألف سنة أو أكثر أو أقل !

وان الكائن العاقل الذي أرسلها قد مات منذ زمن بعيد وربما هو حي اذا كان متوسط عمر الكائن الحي فوق هذه الكواكب أكثر من ألف سنة . . وربما مات نحو ألف كائن من فوق هذا الكوكب بعد الذي أرسل الاشارة اذا كان متوسط العمر عندهم عام واحد . .

نفس الشيء بالنسبة لعلماء الأرض الذين يرسلون الإشارات منذ نحو خمسة عشر عاماً . . فان واحدة من هذه الإشارات قد تصل بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل . . ويعود الرد عليها إلى الأرض بعد ألف أخرى من السنين وهكذا يمكن القول ان علماء مرصد جودريك سوف يتلقون رداً على اشاراتهم إلى الكواكب الشمسية في عام ٣٩٧٢ اذا كان هناك فوق هذه الكواكب كائنات عاقلة مثل الانسان .. وهذا الكلام علمي ١٠٠ ٪ .. ولكن هل يمكن أن يتحقق .. وبعد كم من السنين ..

وقبل ذلك بعشرات المئات من السنين يقرر القرآن الكريم أن هناك حياة وأحياء في السموات كما هما في الأرض إذ يقول :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا » .

(١٥ سورة الرعد)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ » . (٤٩ سورة النمل)

« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ » .

(٤٤ سورة الإسراء)

« وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

(٥٥ سورة الإسراء)

« إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَـٰنَ عَبْدًا » . (٩٣ سورة مريم)

« قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ » .

(٤ سورة الأنبياء)

« وَلَهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

(٩ سورة الأنبياء)

« يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » . (٢٩ سورة الرحمن)

أي ان في السماوات أحياء يدبون عليها . . ويتحدثون ويعبدون الله ويسبحون بحمده . . وأنهم يسألونه كل يوم في شؤونهم المختلفة وأنهم بذلك كأحياء الأرض . .

أما هل يجتمع أهل السماء وأهل الأرض . فالله قادر على ذلك واذا أراد فسيتم هذا الاجتماع وذلك بالنص الشريف :

« وَمِن آيَاتِهِ خَلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » .

(٢٩ سورة الشورى)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

غزو الفضاء

لو استجاب الإنسان لما دعاه اليه القرآن الكريم .. وتدبر آياته الشريفة . . وتفكر فيها . . لاسيما الآيات الكريمة التي وجهت النظر إلى دراسة السماء وما فيها عن طريق غزو الفضاء . . لتقدم عصر الفضاء أربعة عشر قرناً من الزمان . . ولقاد المسلمون عصر نهضة الفضاء . . كما قادوا الحركات العلمية في العالم في عصور الاسلام الأولى . فالإنسان دخل عصر الفضاء في أكتوبر ١٩٥٧ عندما أطلق أول قمر صناعي . . وقد يكون استمر قبل ذلك عدة سنوات يدرس الطريق إلى هذه الرحلة .. ويتخذ الأهبة لها .. بعد أن اتجه بفكره إلى الفضاء يحاول استكشافه

ولكن قبل أن يفكر في ذلك .. ببعيد .. وبعيد جداً .. أي قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة .. يوجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى السماوات .. ويدعوه إلى دراسة ما فيها .. ثم يقرر في صراحة ووضوح أن الجن سبقت إلى غزو الفضاء وأنهم وصلوا إلى بعد فيه كانوا يسمعون أحاديث من هم في السماء .. وذلك كما جاء في سورة الجن ومنها :

« وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ

فمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » .

(٨ – ٩ سورة الجن)

وأن الإنسان سيحاول هو أيضًا .. كما سيحاول الجن مرة أخرى .. غزو الفضاء .. وأن نجاح هذا الغزو سيتوقف على الإمكانية .. التي ستتاح .. الإمكانية العلمية . والمادية .. أي السلطان .. وذلك بالنص الشريف :

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِن أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ » .

(٢٣ سورة الرحمن)

أما قدر هذا النجاح .. فانه إلى حد محدود .. وبعد معدود .. قد يكون إلى المجموعة الشمسية كلها .. أو بعضها .. اذ لا سبيل إلى البعد .. اذ تقرر الآيات الشريفة أن بعد المدى المحدد لا امكانية للنفاذ إذ هناك من اللهيب المستعر .. والعناصر المنصهرة .. ما يحول بين الإنسان والجن في التقدم وذلك بالنص الكريم :

« يُرسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظٌ مِن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ » .

(٣٥ سورة الرحمن)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وهذا ما يؤكد أن هذه الآيات تحض الإنسان في الدنيا .. وليست كما يقول البعض إنها في الآخرة وانها تحض الحساب . ويومه .. إذ يوم الحساب لا يمكن أن يحاول الإنسان أن يهرب من أقطار السماوات والأرض إذ قد بدلت الأرض .. والسماء .. وذلك بالنص الشريف :

« يَومَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ» .

(٤٨ سورة ابراهيم)

وقد طويت السماء .. فلا مكان لها . ولا محاولة للنفاذ منها .. وذلك بالنص الكريم :

« يَومَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ للْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

(١٠٤ سورة الأنبياء)

كما أن الحساب لا يمكن أن يهرب منه إنسان مهما أوتي السلطان والامكانية .. والآية تفيد امكان الخروج .

ولقد أورد القرآن الكريم آيات أخرى .. تتضمن حقائق قاطعة وتصف بألفاظ واضحة كل شؤون غزو الفضاء .. فالآية الشريفة :

« فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشرَح صَدْرَهُ لِلْإِسلَام

وَمَنْ يُرِد أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » .

(١٢٥ سورة الأنعام)

هي أساس علم جديد .. استحدثه أمر غزو الفضاء. وسمي علم طب الفضاء .. كما أن الآيات الكريمة من سورة الانشقاق وصفت الغزو وحددت مراحله .. وقررت خطواته إذ تقول :

« فَلَا أُقسِمُ بالشَّفقِ . وَالليلِ وما وَسَقَ . والقمرِ إذا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ . »

والشفق هو ما يظهر من حمرة الأفق عند الغروب .. وأما الليل وما وسق فان أهم ما يظهر في الليل هي النجوم اللامعة .. فكأن الآيات إنما توجه النظر إلى السماء .. إلى ما فيها من نجوم وكواكب .. والقمر اذا اتّسق أي اذا وضح وعرف الإنسان حقائقه .. ثم تقرر الآيات الشريفة حقيقة علمية وصل اليها علم الفضاء اخيرًا وهي .. ضرورة الانطلاق في الغزو .. من مرحلة إلى أخرى .. ومن جهاز إلى آخر .. ويتم الآن صنع محطات فضاء دائرية .. يقرر العلماء أنه لا بد منها .. للانطلاق إلى أبعد .. ونتيجة ذلك .. سيرى الإنسان .. الآيات المؤكدة على وجود الله ووحدانيته .. اذ تقرر الآية التالية ذلك .. بالنص الشريف :

« فَمَا لَهُم لَا يُؤْمِنُونَ » .

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ثم الا يؤمن الإنسان بعد ذلك بالقرآن الكريم الذي أورد كل هذه الحقائق سابقًا العلم بمئات السنين وإذا قرئ بعد ذلك القرآن الا يسجدون لله الذي أوحى بهذا القرآن .. ؟ وهذا ما تنص عليه الآية الشريفة اللاحقة اذ تقول :

« وَإِذَا قُرِئَ عَلَيهِم الْقُرآنُ لَا يَسجُدُونَ » .

هذا هو القرآن الكريم ...

وهذه لمحة سريعة عما يحتويه القرآن ...

في كل آية معجزة ... بل معجزات ... وسيظل دائمًا موضع الإعجاز والإقناع .

وفي اليوم الذي تبلغ العلوم فيه منتهاها ... سيظهر من أوجه القرآن العلمية ما يجعل الناس على اختلاف دولهم يسارعون إلى الدخول في دين الله أفواجًا ...

والله أدعو أن يؤيد الإسلام بنصره ... وأن يهدينا إلى ما يقربنا من رحمته ...

وأن يكتب لنا من المغفرة فوق ما نطمع فيها .

ربنا إننا إن أخطأنا ... فوجهك الكريم قصدنا ... وإذا أصبنا فإنه توفيقك لنا ...

ربنا عليك توكلنا وإليك ننيب ...

« رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

(١٢٨ سورة البقرة)

صدق الله العظيم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فهرس

الإهداء ٣
مقدمة ٥
إعجاز القرآن ٩
النفاثات في العقد ٢٧
وسوسة الجنّة والناس ٣١
سكينة النفس ٣٦

فهرس

الإهداء ٣
مقدمة ٥
إعجاز القرآن ٩
النفاثات في العقد ٢٧
وسوسة الجنّة والناس ٣١
سكينة النفس ٣٦
وعسى ان تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ٤٢
وأما بنعمة ربك فحدِّث ٤٨
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا ٥٥

تجنب الزاوية الحادة ٧٣
ولا تسرفوا ٧٧
سحر الألوان ٨١
البروتين النباتي والحيواني ٨٥
الغذاء الأحوى ٨٩
غلاف الأرض المائي ٩٢
اهتزاز الأرض وزيادة حجمها بالماء ٩٦
الحديد ومنافعه ١٠٢
النوم طرح روحي مؤقت ١٠٧
المس الروحي ١١٢
من علم الديناميكا ١١٨
وراثة الصفات ١٢٣
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ١٣٠
عظام الإنسان ١٣٧
من علم الأجنّة ١٤٠
الكتراكتا ١٤٤
البصر والبصيرة ١٤٨
المحيض ١٥٤
عالم نراه وعالم لا نراه ١٦٢
وحدة الخلق ١٧٠
الأرض قبل البداية وعند النهاية ١٧٠
وبالنجم هم يهتدون ١٧٠

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

مواقع النجوم ١٧٥
الشمس والقمر بحسبان ١٧٨
انشقاق القمر ١٨٤
الاستماع إلى السماء ١٨٩
أسرار في السماوات والأرض ١٩٥
حياة وأحياء في السماء ٢٠٠
غزو الفضاء ٢١٧
فهرس ٢٢٣

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كتب للمؤلف

المجموعة الأولى:

الدعوة إلى الإسلام

الشهادة

صوم رمضان

صلاة الفريضة

تلاوة القرآن الكريم

فريضة الزكاة

فريضة الحج

المجموعة الثانية:

الله والعلم الحديث

الإسلام والعلم الحديث

القرآن والعلم الحديث

المسلمون والعلم الحديث

الإسلام دين ودنيا

محمد رسولاً نبيًّا

كيف ولماذا؟

طريق إلى الله

بين الدين والعلم

القرآن والمجتمع الحديث

بين يدي الله

الرحمن الرحيم

دين وفكر

من الآيات العلمية

الحياة الأخرى

السماء وأهل السماء

أسئلة حرجة

يوم القيامة

أسرار وعجب

عالم الجن والملائكة

التصوف والطريق إلى الله